

بناء الأسرة المسلمة
الحلقة الثانية

اختيار الزوجين في الإسلام وآداب الخطبة

حسين محمد يوسف



اختيار الزوجين
في الإسلام
وآداب الخطبة

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفضل على خلقه بنعمته ورحمته ، والمتجلى عليهم بآياته وقدرته . . ومن نعمه ورحمته ، أنه أباح الزواج تفضلا منه وكرما ، لأن الأصل في العبودية أن ننتزغ لعبادته « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . ولكنه لما علم ضعف نفوس خلقه ، شرع لهم الزواج تفضلا منه وكرما ، وجعله آية من آيات رحمته « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

والصلاة والسلام على رسول الله الذي ندب امته للزواج ،
نقال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج »

وقال « تناكحوا تكاثروا فاني اباهى بكم الامم يوم القيامة » .

وقال « اما والله اني لاختشاكم لله ، واتقاكم له ، لكني اصوم وافطر ، واصلى وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني » .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم ، الذي امرتنا باتباعه ، والسير على سنته فقلت (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

وبعد ،

فهذه الرسالة ، هي الجزء الثاني ، من البحث القيم الهادف ،
(بناء لاسرة المسلمة) الذي كتبه استاذنا حسين محمد يوسف

الرئيس الاول لجمعية شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان الأستاذ حسين محمد يوسف — رحمه الله — قد كتب هذا البحث قبل انتقاله الى الرفيق الأعلى ، وجعله في ثلاثة أجزاء: —

الاول : اهداف الأسرة في الاسلام والتيارات المضادة .

والثاني : اختيار الزوجين في الاسلام وآداب الخطبة .

والثالث : آداب العقد والزفاف في الاسلام .

وسبق أن أصدرت دار الاعتصام من قبل الجزء الاول « اهداف الأسرة في الاسلام والتيارات المضادة » والذي قسمه المؤلف الى مقدمة وفصلين :

الاول : مكانة الأسرة في دولة الاسلام

والثاني : اهداف الاسلام من تكوين الأسرة

وفي الفصل الأول أوضح المؤلف مدى عناية الاسلام بالمرأة ، وتحريره لها من الذل .. وتعرض لاكثوبة دعوى تحرير المرأة في الغرب ، ومساواتها بالرجال ، وكيف أن المرأة في ظل هذه الدعوى الخادعة تحيا حياة البؤس والشقاء .. وعرض لتحلل الأسرة في المجتمع الخربى .

وفي الفصل الثانى تناول اهداف الاسلام من الأسرة : الهدف الاجتماعى ، والهدف السياسى ، والهدف الاقتصادى ، والهدف الخلقي ، والهدف الصحى ، والهدف الروحى .. وتعرض بانافضة لدعوة تحديد النسل ، وبين بالأدلة الدامغة ، والحجج الواضحة ، مؤامرة الاستعماريين من وراء هذه الدعوة الخبيثة .

لقد كان الجزء الأول من هذا البحث مجموعة خطيرة من الحقائق والوثائق ، مدعمة بالاحصائيات والأرقام ، كشف عن بعض أساليب التخريب الصليبية والصهيونية والشيوعية ، لكيان المجتمع الاسلامى .

وان كان الجزء الاول « اهداف الاسرة في الاسلام والتيارات المضادة » قد اوضح ما يريده اعداء الاسلام بالانسان المسلم ، من هدم كيانه ، ومسخ شخصيته ، وتدمير مقوماته ، بهدم الاسرة المسلمة .. فانه من المتعين ، ان يعرف المسلم كيف يبدأ بناء الاسرة في الاسلام .

وفي هذه الرسالة ، يقدم لنا الاستاذ حسين محمد يوسف الجزء الثانى من هذا البحث القيم ، الذى تناول فيه مقومات بناء الاسرة . « اختيار الزوجين في الاسلام وآداب الخطبة » وجعلها في ثلاثة فصول :

الفصل الاول : اختيار الزوجة

والفصل الثانى : اختيار الزوج

والفصل الثالث : خطبة النساء

الفصل الاول : اختيار الزوجة :

وقد اثار فيه المؤلف الى الفارق بين المظاهر والجواهر ، وكيف انه يتعين على المسلم ان يهتم بالجواهر دون المظهر ، فيتخير لنطفته ذات الدين ، خيرا الكنوز المرأة الصالحة .. وتناول الاسباب المرغبة في الزواج ، وعرض لخطر الزواج بالاجنبيات ، وبين حرمة الزواج بالمحاربات والمشركات .. وعرض لسيرة الصحابة رضوان الله عليهم وموقفهم من سبائى المشركات .. وكيف فضل الاسلام الغرائب في الزواج ، وعنايته بتحري الودود الولود ، وتفضيل الابكار في تكوين الاسرة .. ثم اوضح اثر المرأة الصالحة في تاريخ الاسلام .

الفصل الثانى اختيار الزوج :

وقد اثار فيه المؤلف الى ان اهم مظاهر تكريم المرأة : هو في تحري الزوج الصالح لها ، الذى ان احبها اكرمها ، وان كرهها لم يظلمها .

ثم عرض للكفاءة المعتبرة في الزواج ، وبين ان المعول عليه

أن تكون في الدين ، فيجوز للفقير أن يتزوج الغنية ، وللمولى أن يتزوج الشريفة القرشية . ولكن لا يجوز للفاسق أن يتزوج الصالحة التقية . مهما توغر له من كفاءات المال والجاه . وضربمثالا لذلك: تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته الزهراء — سيدة نساء العالمين — من على كرم الله وجهه ، وهو يومئذ أفقر شباب قريش ، اكتفاء بدينه وتقواه ، ورفض سعيد بن المسيب تزويج ابنته للوليد ابن عبد الملك ، مع جاهه وغناه .

ثم بين أن المعرفة الوثيقة بين الأولياء والأزواج ، والاتصال المباشر بين الأسر والعائلات ، هما السبيل القويم لاختيار الزوج الصالح ، ورفض ما عداه ، ومن ثم فانه يجوز للآباء والأولياء ، عرضبناتهم أو ذواتقرباهم ، على من يثقون بدينه من أهل التقوى ، فان ذلك من المساعي الحميدة التي يحث الاسلام عليها ، ويدعو اليها .

وقد أوجب الاسلام التعرف على رأى المرأة فيمن يتقدمون لخطبتها ، لا سيما بالنسبة لليتامى ، فقد خصهن النبي بتأكيد حقهن في الاختيار ، فإذا أكرهت المرأة على الزواج بمن لا ترضاه ، كان لها الحق في أن ترد نكاحها ، وقد استثنى الاسلام البكر ، فأجاز لوالدها وحده أن يزوجه بمن يراه كفوا لها ، دون ائنها ، فان زوجها بغمر كفاء كان للامام أن يرده .

الفصل الثالث : خطبة النساء :

وهي الخطوة السابقة لمعد الزواج ، بعد الاطمئنان الى سلامة الاختيار ، وصديق الفية ، وقد أجاز الاسلام — في عرضه قيام العلاقات الزوجية في الأسرة على أسس وطيدة — للخطاب أن يرى خطيبته ، بعد أن يكون قد أحاط بكل ما يهمه من أمرها ، من حسب ونسب ، وخلق ودين ، ويحسن أن تتم هذه الرؤية ، بعد أن يبعث الرجل بسيدة يثق فيها من أهله ، تعين الخطيبة ، وتصف له أحوالها ، وما يهمه من أمر جمالها وقوامها .

وقد بين المؤلف أن المقدار المخصص رؤيته من المرأة في

الخطبة ، لا يتجاوز الوجه والكفين ، وأن اتمام الخطبة لا يجب أن يغير شيئا من وضع الرجل والمرأة ، فلا يباح لهما الاجتماع الا بحضور محرم ، ولا يجوز لقاءهما الا لضرورة . ولا أن تبدى المرأة لخطيبها أكثر من القدر الذى أذن به الشرع ، لأنه فى حقيقة الأمر مازال أجنبيا بالنسبة لها ، الى أن تتأكد الخطبة بعقد صحيح .

ثم بين مواطن الكراهة والتحريم فى الخطبة ، ووجهة نظر الاسلام فى كل منها ، مثل خطبة الرجل على خطبة أخيه ، لما فيها من مجافاة لحقوق الاخوة . . وخطبة الرجعية التى لم تنتقض عدتها ، لما فيها من عدوان على حق الزوج ، ومجافاة للمروءة ، وخطبة المعتدة للوفاة أو للبينونة الكبرى الا تعريضا ، وخطبة المرأة على قرابتها ، لما يتحراه من قطيعة بين الاهل والاقربين .

ويستحب للخطيب أو من ينوب عنه ، أن يتقدم قبل الخطبة بخطاب يلقيه ، يعرف فيه نفسه ، ويعبر فيه عن رغبته ، ويرد عليه والد الفتاة أو وليها ، بخطاب يرحب فيه به ، ويظهر استعداداه لإجابة طلبه .

وبهذا الفصل الأخير يكون قد ختم المؤلف الكلام عن مقدمات الزواج ، أى اختيار الزوجين وآداب الخطبة فى الاسلام .

وهذا البحث القيم حوى الكثير من آداب الاسلام وتعاليمه ، مدعمة بالآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة . . كما قدم لنا صورا مما كان عليه السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين والصالحين رضى الله عنهم .

نسأل الله عز وجل أن ينفع المسلمين بهذا البحث القيم ، وأن يجزى المؤلف خير الجزاء ، فيثمده برحمته ، ويسكنه فسيح جناته ويلحقتنا به على الايمان .

محمد عطية هيبس

رئيس شباب سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم

اختيار الزوجة

- بين المظاهر .. والجواهر
- تخيروا لنطفكم
- الاسلام والقيم المادية
- خير النساء ..
- الأسباب المرغبة في الزواج
- خطر الزواج بالأجنبيات
- حرمة الزواج بالمحاربات
- حرمة الزواج بالمشركات
- تفضيل الفرائب في تكوين الأسرة
- تحرى الودود الولود
- تفضيل الأبكار في تكوين الأسرة
- أثر المرأة الصالحة في تاريخ الاسلام

بين المظاهر .. والجواهر :

لا شك في أن بناء الأسرة ، هو أخطر بناء في كيان المجتمع ، بل في كيان الأمة بأسرها ، لأنه البناء الذي تتوقف على سلامته وصلابته : سلامة المجتمع ، وعزة الأمة .

فإذا كان الناس يعنون عند إقامة أبنتهم من الأحجار ، باختيار الموقع المناسب وتحري الخامات الجيدة ، التي تكفل سلامة البناء ، وتضمن بقاءه الى حين .

إذا كان هذا هو شأن الناس في إقامة الابنية المكونة من الأحجار والطين ، فإن بناء الأسر المكونة من الرجال والنساء والبنين أولى بالدقة عند الاختيار ، وأجدر بالبحث والاستفسار ، لأن بناء الأحجار يتعلق بشئون الدنيا وهي فانية ، وبناء الأسر يتعلق بسعادة الدنيا ، ويمتد أثره الى الآخرة ، وهي دار القرار .



والاسلام في هذه الناحية — شأنه في كل شيء — لا يقيم وزنا للمظاهر ، وإنما يعنى دائما بالجواهر الأصيل ، لأن الله تعالى لا ينظر الى الصور والأموال ، وإنما ينظر الى القلوب والأعمال .

مر رجل غنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لأصحابه :

« ما تقولون في هذا ؟ » قالوا :

حرى أن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يسمع ، وسكت صلى الله عليه وسلم ، حتى مر به رجل من فقراء المسلمين ، فقال :

« وما تقولون في هذا ؟ » قالوا :

حرى أن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع . !!

فقال صلى الله عليه وسلم :

« هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا (١) » .

وهكذا : أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم أصحابه أن المظاهر قد تكون خداعة ، وأن ذلك الرجل الذى ازدرت أعينهم لفقره ورثائه مظهره ، يساوى الألوف ، بل الملايين ، من أمثال هذا الرجل الذى حل منهم — بمظهره — محل التقدير والاعتبار ، لأن المدار على التقوى . قال صلى الله عليه وسلم :

« رب أشعث أغبر ذى طمرين ، تنبو عنه أعين الناس ، لو أقسم على الله لأبره (٢) » .

تخبروا لنطفكم :

من أجل ذلك : عنى النبي صلى الله عليه وسلم — فيما يتعلق بتكوين أسرة — بالحث على تحرى العناصر الطيبة من النساء . واختار ذوات الأصول الظاهرة ، فقال :

« تخبروا لنطفكم ، فانكحوا الأكفاء ، وانكحوا اليهم (٣) » .

والمعنى الذى يهدف اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، هو أن يحرص المسلمون فى بنائهم للأسرة ، على تحرى الزوجة الصالحة ، ذات الأصل الطيب ، لأن أخلاق المرأة تتأثر غالبا بالبيئة التى نشأت فيها ، وترتبط فى أحضانها ، كما أن أبناءها يرثون عنها الكثير من أخلاقها وطباعها ، إذ أن كل أneau ينضج

(١) صحيح البخارى : كتاب النكاح — باب الكفاءة فى الدين . من حديث سهل ابن سعد الساعدى رضى الله عنه .

(٢) رواه أحمد ومسلم والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) رواه ابن ماجة والحاكم و البيهقى ، من حديث عائشة رضى الله عنها ، وقد اشتهر على الألسنة فى هذا الصدد أحاديث أخرى ، ذكر أهل العلم الكثير من ضعفها أو وضعها ، أو لا أصل لها ، مثل حديث « تخبروا ، لنطفكم فان العرق دساس » وحديث : « إياكم وخضراء الدين » قالوا : وما خضراء الدين ؟ قال : « المرأة الحسنة فى المنبت السوء » وقد رأينا التنبيه الى مثل هذه الأحاديث ، وبيان أنه لإحاجة الى الاستشهاد بها ، لاسيما وفى الأحاديث الصحيحة ما يقضى منها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « .. فانظر بذات الدين تربت يداك » الذى أورده البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن .

بما فيه ، لذلك : يندب اختيار المرأة من بيئة متدينة ، حتى تنقل الى أبنائها وبناتها الطباع الكريمة ، والقيم الفاضلة .

وزيادة في تأكيد هذا المعنى : حذر النبي صلى الله عليه وسلم ، أشد التحذير ، من الانسياق وراء الماديات — من جمال أو مال — المجردة عن الأصل الكريم ، والنشأة الصالحة ، لأنها أشد خطرا ، وأوخم عاقبة ، فقال صلى الله عليه وسلم .

« لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولامة سوداء ذات دين أفضل(١) » .

فالجمال بالنسبة للمرأة : مالم يكن محصنا بالنشأة الدينية، والأصل العريق ، قد يفرى الفساق بالطمع فيها .. ويهون عليها التفريط في شرفها ، والتردى في هوة الفاحشة ، دون مبالاة بما يعود على الأسرة من الدمار ، وما يلوث الأبناء بالعار والشنار .

والغنى بالنسبة للمرأة ، إذا لم يجمله الخلق الكريم ، قد يدفعها الى التعالى على زوجها ، ويفريها بالتحكم فيه ، والطفيان عليه ، مما يعكر صفو الحياة الزوجية ، ويهدد كيان الأسرة ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

إذا كنت تبغى أيما بجهالة
من الناس ، فانظر من أبوها وخالها
فانهما منها .. كما هي منهما
كقدك فعلا .. أن أريد منالهما
ولا تطلب البيت الدنىء فعالة
ولا يدع ذا عقل لوزهاء مالها
فان الذى ترجو من المال عندها
سيأتى عليه شؤمها وخبالها(٢)

وقد روى ابن عباس رضى الله عنه ، أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان امرأتى لاترد يد لامس

(١) رواه ابن ماجة والبزار والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

(٢) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للقسطلانى : ٢٢/٨ .

قال : « غربها » قال : أخاف أن تتبعها نفسى . فقال صلى الله عليه وسلم : « فاستمتع بها » (١) .

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أقوال الفقهاء في المقصود باللمس المذكور في هذا الحديث ثم قال :

« وقيل : ان المراد أن سجيتها لا ترد يد لأمس ، لا ان المراد ان هذا واقع منها ، وانها تفعل الفاحشة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها ، فان زوجها — والجالالة هذه — يكون ديوثا .. ولكن لما كانت سجيتها هكذا : ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها ، لو خلا بها أحد ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقها ، فلما ذكر انه يحبها : أباح له البقاء معها لأن محبته لها محققة ، ووقع الفاحشة منها متوهم ، فلا يصار الى الضرر العاجل ، لتوهم الأجل ، والله سبحانه وتعالى أعلم (٢) » .

وفي هذا الحديث عبرة بالغة ، توضح مدى ما يلقاه الزوج من المرأة الجميلة ، الضعيفة في دينها ، الوضيعة في نشأتها ، من عنت وهم . فهذا الرجل الذى يشكو الى النبى صلى الله عليه وسلم سلوك زوجته ، وأن لا تمنع أى أجنبى عنها ، ان يمد يده اليها ، مداعبسة لها ، وطمعا فيها ، أو رغبة في أخذمال زوجها ، .. هذا الرجل يجد نفسه بين أمرين أحلاهما مر ، فإما ان يغربها — أى يطلقها — مع تعلقه بها ، وشغفه بجمالها ، فيشقى ببعدها ، وأما أن يبقيها ، ويعيش معها فى قلق من ناحيتها ويجهد نفسه فى الحفاظ عليها ، لعدم اطمئنانه اليها ، فى الحرص على شرفها ، أو صيانة كرامة زوجها وماله .

وكلا الحالين : لا يرضى بأيهما أهل المروءة والشرف .

ومن ثم فانه يكره التزوج ببنت الزنا ، وبنت الفاسق ، واللقطة ، ومن لا يعرف لها أب .

وما أجمل ما أوصى به الحكيم العربى « أكثم بن صيفى » قومه ، حيث قال :

(١) رواه أبو داود والنسائى : عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير : ١١/٦ .

يا بنى تميم : لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة النسب ،
 فان المناكح اللثيمة مدرجة لشرف (١) .
 وروى أن أبا الأسود الدؤلى قال لبنينه :
 يا بنى : قد أحسنت اليكم صفارا وكبارا ، وقبل أن
 تولدوا .. !!

قالوا : كيف أحسنت الينا قبل أن نولد ؟! .
 قال : اخترت لكم من الأمهات من لا تسويون بها (٢) .
 وقال الأصمى : ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله تعالى ، بمثل
 منكح صدق ، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله تعالى بمثل منكح
 سوء (٣) .

الاسلام والقيم المادية :

على أن الاسلام وان كان لا يقيم كبير وزن للقيم المادية ،
 الا انه مع ذلك لا يهملها كل الاهمال ، لما جبلت عليه النفس
 البشرية من ميل الى المرأة الجميلة او المال الوفير ، او غير ذلك
 من شهوات الدنيا ، المحببة الى السواد الاعظم من أهلها . والله
 تعالى يقول :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر
 المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام ،
 والحرث ، تلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب » (٤) .

لا ينكر الاسلام مثل هذه الشهوات ، بالنسبة للراغبين فيها ،
 او الحريصين عليها . حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، حين
 جاءه المخيرة بن شعبة ، فأخبره أنه خطب امرأة ، فقال له صلى
 الله عليه وسلم :

« انظر اليها ، فانه احسرى أن يؤدم بينكما » (٥) أى أن

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : القسطلانى : ٢١/٨ .

(٢) ادب الغنى والدين لأبى الحسن الماوردى ج ٨٢ .

(٣) مرآة النساء : للشيخ محمد كمال الدين الادمى : ص ١٦٠ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٤ .

(٥) زوارة النسائى والترمذى وحسنه .

مشاهدتك لها ، أدعى الى الاطمئنان الى ما تدوم به المودة والالفة ، من جمال الوجه ، وحسن القوام .

انما الذى ينكره الاسلام : أن تصرف القيم المادية ، من جمال أو مال ، عن مراعاة ما قد يكون فى المرأة من فساد فى الدين ، أو سوء فى الخلق ، كما هو شأن كثير من الناس فى هذا الزمان لا يقيمون وزنا للخلق الكريم ، والدين القويم ، بقدر ما يقيمونه للمال والجمال ، وليس هذا هو شأن الكرام ، الذين لا يرضون بديلا عن شرف الأصل ، وطيب النشأة ، ولا يقبلون أن يستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وفى هذا المعنى يقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم:

« من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا » .

« ومن تزوجها لمالها لم يزد الله الا فقرا .. » .

« ومن تزوجها لحسنها لم يزد الله الا دناءة .. »

« ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يفض بصره . ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه(١) » .

خير النساء ..

ولقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم — فى توجيهه لأصحابه — مثلا لأهم السجيا المنشودة فى الزوجة الصالحة ، التى بها تقوم البيوت الكريمة ، وتؤسس بها الأسر الطيبة ، وتتوفر النشأة القوية للأبناء ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« خير نساء ركبن الأبل : صالحو نساء قريش ، أحناء على ولد فى صفره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده(٢) » .

ويستدل من هذا الحديث على أفضلية نساء العرب عامة ، وصالحى نساء قريش بصفة خاصة ، لما فطرن عليه من حنو

(١) كشف الخفاء للمعلونى ٢٢٩/٢ من أبى نعيم من حديث أنس رضى الله عنه .

(٢) صحيح البخارى : كتاب النكاح .

على الصغار ، وشفقة بهم ، وعناية بتربيتهم ، ولما جبلن عليه من رعاية للأزواج ، ووفاء بعهدهم ، وحفاظا على شرفهم وكرامتهم ، وصونا لأموالهم ، وتدبرا لأمور معيشتهم ، وغير ذلك من المقومات الزوجية السعيدة والعشرة الطيبة .

كما بين صلى الله عليه وسلم طرفا آخر من السجايا والخصال الكريمة المطلوبة في الزوجة فقال :

« خير النساء من تسرك اذا أبصرت ، وتطيعك اذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك » (١) .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « من تسرك اذا أبصرت » كناية عن جمال الخلقة ، ونظافة الملبس ، وكمال الزينة ، فعلى المرأة أن تحرص على الظهور أمام زوجها في أجمل صورة يحبها ، بالنسبة لنفسها ولياسها .

وقوله صلى الله عليه وسلم « وتطيعك اذا أمرت » كناية عن طيب عنصرها ، وحسن تربيتها ، فعلى المرأة أن تسارع دائما الى مرضاة زوجها ، وتتبع موافقته .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك » كناية عن قوة دينها ، وصدق ايمانها بالله ورسوله ، فعلى المرأة أن تكون مخلصه لزوجها ، محافظة في قبيته على شرفه وعرضه ، أمينة على أمواله .

وحق لمن توفرت فيها هذه الصفات ، أن يصفها الصادق المصدق بأنها خير النساء .

خير الكنوز : المرأة الصالحة :

ومثل هذه المرأة هي أغلى كنز يعثر عليه المؤمن ، في سعيه لخير الدنيا والآخرة ، فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما انزلت (والذين يكتزون الذهب والفضة) (٢) . الآية ، انطلق عمر ،

(١) الطبراني عن عبد الله بن سلام بإسناد صحيح .

(٢) سورة التوبة : آية ٣٤ .

واتبعه ثوبان — رضى الله عنهما — فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله : انه قد كبر على أصحابك هذه الآية ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم .

« ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ » المرأة الصالحة ، التي اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرها اطاعته ، واذا غاب عنها حفظته (١) » .

وفي رواية أخرى عن ثوبان رضى الله عنه ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا رسول الله : أى المال نتخذ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم .

« ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وزوجة تعين أحدكم فى أمر الآخرة (٢) » .

الاسباب المرغبة فى الزواج :

وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم ، فى حديثه الشريف ، أهم الاسباب المادية والروحية ، التى يتحراها الناس فى بحثهم عن الزوجة المنشودة ، فقال :

« تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاقظروا بذات الدين تربت يداك (٣) » .

وهكذا : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم المال والحسب والجمال ، ضمن المزايا المرغبة فى المرأة ، ثم حث على اختيار ذات الدين ، واعتبر العثور عليها ظفرا ، لما سيجنيه الظافر بها من سعادة للنفس ، واستقرار فى العيش ، وتنشئة طيبة فى الذرية ، ثم أردف صلى الله عليه وسلم كل ذلك بوعيد شديد ، لمن يتهاون فى طلب ذات الدين ، أو يعرض عنها ، اكتفاء بالمال والجمال ، بقوله : « تربت يداك » أى لصقتا بالتراب ، كناية عما سيتعرض

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٨١/٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

له من خسران في الدنيا والآخرة ، لتعديده ذوات الدين الى غيرهن .
والى هذه المعانى ذهب القاضى ناصر الدين البيضاوى
— رحمه الله — حيث قال :

« ان اللائق بذوى المروءات ، وارياب الديانات ، ان يكون
الدين مطمح نظرهم في كل شيء ، لا سيما فيما يدوم امره ، ويعظم
خطرهم ، فلذا اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبلغه ،
فامر بالظفر به ، الذي هو غاية البغية ، ومنتهى الاختيار والطلب ،
الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة ، وفائدة جليلة (١) » .

وتأكيدا لكل ما تقدم : يقول سيد المرسلين صلى الله عليه
وسلم :

« الدنيا كلها متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة (٢) » .

أى ان الدنيا متاع زائل ، وخير ما فيها من هذا المتاع :
المرأة الصالحة ، لأنها تسعد صاحبها في الدنيا ، وتعينه على أمر
الآخرة وهي خير وأبقى . والله در من قال :

سعادة المرء في خمس إذا اجتمعت
صلاح جيرانه والبر في ولده
وزوجة حسنت أخلاقها .. وكذا
خل وفي .. ورزق المرء في بلده

خطر الزواج بالأجنبيات :

واذا كان الاسلام قد حث على اختيار الصالحات من النساء
— عند تكوين الأسرة — وتفضيلهن على غيرهن ، مع اتفاقهن في
العقيدة ، فان الزواج بالأجنبيات ، لا يصح ان يكون محل تفكير لدى
أى مسلم يحرص على سلامة دينه ودنياه ، لأن الخطر منهن أعظم
من الخطر المترتب على الزواج « بخضراء الدمن » فقد توفر في

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للقسطلانى : ٢٢/٨ .

(٢) أحمد في مسنده ، ومسلم والنسائى : من حديث ابن عمرو رضى الله عنه .

الأجنبية ما توفر في هذه من سوء المنبت : وزادت عليها كفرها بالله ورسوله .

والأجنبية في نظر الاسلام : هي غير المسلمة ، بصرف النظر عن الجنس واللون واللغة ، لأن الاسلام لا يقيم وزناً للفوارق في هذه النواحي ، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

فاذا اعتنقت الانجليزية او الفرنسية او الأمريكية الاسلام ، فهي مسلمة ، لها ما للمسلمات ، وعليها ما عليهن ، لأن الاسلام يجب ما قبله ، اما اذا بقيت على دينها ، فقد تحققت كراهية الزواج منهن ، خشية تأثيرها في عقيدة ابنائها .

وأى نشأة تكون أسوأ من نشأة أبناء في ظل أم يهودية أو نصرانية ، تربت وترعرعت في بيئة بعيدة عن آداب الاسلام وتقاليده ؟ !

ومع أن الاسلام قد أحل الزواج بالكتابيات ، بنص قوله تعالى : « **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** » (١) فقد اشترط فيهن الاحسان ، بقوله « **المحصنات** » أى العفائف اللاتي لم يعرف عنهن تبذل أو فاحشة . ومع كل ذلك ، فإن المتواتر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم كانوا ينفسون منهن ، ولا يلجأون اليهن الا للضرورة .

لمن جابر رضى الله عنه ، قال :

« شهدت القادسية مع سعد ، فتزوجنا نساء أهل الكتاب ، ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلما قتلنا : فمنا من طلق ، ومنا من أمسك » (٢) .

ومع ذلك : فإن الفاروق عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حينما علم باقبال بعض المسلمين على الزواج بالكتابيات ، كتب الى حذيفة رضى الله عنه بعد أن ولاء المدائن ، وكثر المسلمات ، يقول له :

(١) سورة المائدة : آية ٥ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى : ٥٨٨/٣ .

« بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن ، من أهل الكتاب ، فطلقتها » . فكتب اليه حذيفة — رضى الله عنه — قائلا :

« لا افعل حتى تخبرنى احلال أم حرام ؟ وما أردت بذلك ؟ » فكتب اليه عمر رضى الله عنه :

« لا .. بل حلال ، ولكن فى نساء الاعاجم خلافة ، فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نساكنكم » . فاجاب حذيفة : « الآن » .. فطلقتها (١) .

وفى رواية اخرى : أن حذيفة قال فى رده على عمر — رضى الله عنهما — : « أترعم أنها حرام فأخلى سبيلها يا أمير المؤمنين ؟ » فأجابه عمر :

« لا ازعم أنها حرام ، ولكنى أخاف أن تعاطوا المومسات منهن (٢) » .

ومجمل القول : أن الزواج بنساء أهل الكتاب يكره الا لضرورة ، كوجود الرجل فى غربة طويلة ، وعدم توفر المسلمات ، مع الحرص على تخير المحصنات منهن ، اللاتى نشأن فى بيئة محافظة ، وعرفن بالخلق الكريم .



واذا كان الفارق — رضى الله عنه — قد كره للمسلمين الزواج بالكتابيات ، فى وقت كان الاسلام فيه عزيزا ، والمسلمون هم سادة الأرض ، فان هذه الكراهية تتأكد فى الوقت الحاضر ، حيث يجد المسلمون انفسهم فى صراع رهيب مع قوى الاستعمار والصهيونية ، التى تفوقهم عدة وعددا ، لاسيما ونحن نرى النتائج السيئة واضحة من الزواج بالأجنبيات ، حيث حمل الينا بعض المفتونين بالغرب ، أنواعا شتى من نساؤها ، ينتمى الكثير منهن الى بيئات وضيعة ، فأوجد لنا ذلكم الزواج المخلط ، أسرا

(١) المرجع السابق .

(٢) تفسير القرطبي : ٦٨/٣ ، تفسير ابن كثير : ٣٧٦/١ .

بعيدة عن الاسلام في عاداتها وتقاليدها ، تشرب الام فيها الخمر ، وتأكل الخنزير ، وتذهب الى الكنائس أو البيع ، وتربى أبناءها تربية غير اسلامية ، فينشأ هؤلاء الأبناء — بحكم البيئة التي عاشوا فيها ، والام التي رضعوا لبنائها ، وهم لا يعرفون عن الاسلام الا القشور .

لا شك في أن الخطر من زواج الاجنبيات ، في هذه الظروف العvisية التي تمر بالامة الاسلامية ، أبعد اثرا ، وأفدح ضررا ، ويكفي أن نذكر من آثاره : التفرنج للأبناء والبنات ، والتجسس للاعداء .. وأخيرا : التفكك للأسرة ، حين يتقدم سن الزوجين ، وتنطفئ بينهما شعلة العاطفة التي كانت تربط كلا منهما بالآخر ، فلا يجد الزوجان ما يعوضهما عنها من القيم الروحية التي هي خير وأبقى ، أو من الأخوة في الله ، التي هي أوثق عرى الايمان ، فتتصر حياتهما ظلما دامسا ، وشقاء مريرا .

حرمة الزواج بالمحاريب :

وأشد خطرا على كيان الأسرة ، أن يعتمد في بنائها على الكتابيات في دار الحرب ، أي اللاتي يكون أقوامهن في حرب مع المسلمين ، وقد سئل ابن عباس — رضى الله عنهما — عن ذلك . فقال : لا يحل (١) ، وتلا قوله تعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢) » .

والحكمة في ذلك : أن الكتابية في دار الحرب لا تكون خاضعة لسلطة الاسلام ، فالخطر منها أعظم ، حيث تستطيع أن ترغم زوجها على التخلق بأخلاقتها ، كما تستطيع التأثير في أبنائها حتى يدينوا بدينها ، دون أن يستطيع الزوج معارضتها ، لضعف سلطاته عليها .

(١) تفسير القرطبي : ٦٩/٣ .

(٢) سورة التوبة : ٢٩ .

وبما أن المسلمين ما زالوا في صراع مع الاستعمار والصهيونية،
 فإن الزواج بالكتابات — من نساء اليهود والنصارى — قبل العودة
 بهم إلى دار الإسلام ، أو قبل إسلامهم فعلا ، وإن كان صحيحا إلا أن
 الكراهية فيه تصل إلى حد التحريم ، لما بيناه من مفسد ،
 ولأن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة ، لاسيما إذ رجح جانب
 المفسد على المنافع ، فكيف ولا منفعة إطلاقا في مثل هذه
 الزيجات ؟

أما إذا كان يرجى إسلام الكتابة ، أو خشي المسلم على نفسه
 الفتنة ، فله أن يتزوجها ، ما دام لا يجد من نساء المسلمين من
 تغنيه عنها (١) .

تحريم الزواج بالمشركات :

« وإذا كان الزواج بالكتابات في دار الحرب مكروها كراهة
 تحريم ، لخطره على الأسرة . ولرجحان كفة المفسد الناشئة عنه ،
 فإن من البديهي أن يحرم الإسلام الزواج بالمشرقة ، كالمجوسية التي
 تعبد النار ، أو البوذية التي تعبد الأصنام ، كما يحرم الزواج بالملاحدة
 التي تنكر وجود الله تعالى ، كالشيوعية والوجودية .

ذلك أن الإيمان بالله تعالى أصل كل فضيلة ، ومصدر كل
 خير ، وأن الشرك مع الله ، أو الكفر به : أصل كل فاحشة ،
 ومصدر كل شر ، ومن أجل هذا : نهى الله تعالى عن زواج المشركات ،
 فقال في محكم كتابه :

« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولامة مؤمنة خير من
 مشركة ولو أعجبتكم » (٢) .

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — في تفسير هذه الآية ،
 قال : « استثنى الله من ذلك أهل الكتاب » (٣) .

(١) الفقه على المذاهب الأربعة : لعبد الرحمن الجزيري : ٧٦/٤ و ٧٧ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٢١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٢٧٥/١ .

« قيل ان هذه الآية نزلت في خنساء ، وليدة سوداء كانت لحنيفة بن اليمان فقال لها حنيفة : يا خنساء : قد ذكرت في الملا الأعلى مع سوادك ودمامتك ، وانزل الله تعالى ذكرك في كتابه ، فاعتقها حنيفة وتزوجها .

وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة ، كانت له أمة سوداء ، فطمعها في غضب ، ثم ندم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « ما هي يا عبد الله » ؟ قال : تصوم وتصلى وتحسن الوضوء ، وتشهد الشهادتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه مؤمنة » فقال عبد الله بن رواحة : لأعتقنها ولا تزوجنها ، ففعل ، فطمعن عليه ناس من المسلمين وقتلوا : نكح أمة ! .. وكانوا يفضلون أن ينكحوا الى المشركين ، رغبة في أحسابهم ، فنزلت هذه الآية « (١) .

وقد بين الله تعالى العلة في تحريمه الزواج بالمشركة ومن في حكمها ، فقال في ختام الآية السابقة : « أولئك يدعون الى النار : والله يدعو الى الجنة والمغفرة بأذنه » .. أى أن المشركة ، بما نشأت عليه من كفر ، وما تعودته من رذائل ، لانعدام أصل الايمان في قلبها ، ضمنية بأن تؤثر في زوجها وأولادها ، فيجأرونها في بعض أحوالها المنافية للاسلام ، فيقودهم ذلك الى النار ، في حين أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر ، ولذلك فانه يدعوهم الى اختيار الزوجة المؤمنة ، التى تؤسس بها الأسرة على التقوى ، في سياج من آداب الاسلام الفاضلة ، وتقاليده الكريمة ، فهذه هى الأسرة التى يباركها الله ، ويعتبر السعى فى تكوينها نصف الايمان ، والجهاد من أجلها ، والسهر على رعايتها ، من أعظم القربات ، التى تسكفر الذنوب ، وترفع الدرجات ، وتوجب مغفرة من الله ورضوانا .

سيرة الصحابة مع سبايا المشركين :

فالزواج بالمشركة ، أو حتى وطؤها بملك اليمين ، حرام قطعاً ، ما لم تؤمن بالله ورسوله . قال الأوزاعى : سألت الزهري عن الرجل يشتري الجوسية ، أيطؤها ؟ فقال : اذا اشهدت ان لا اله الا الله وطئها (٢) .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٧٠/٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣٧٧/١ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٧١/٣ .

وقد جاء عن الحسن البصرى ما يبين كيف كانت سيرة المسلمين مع نساء المشركين اذا سبين (أى اذا وقعن فى الأسر) فقال رواية عن الحسن باسناده :

« كنا نوجهها الى القبلة ، ونأمرها ان تسلم ، وان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ثم نأمرها ان تغتسل ، واذا اراد أصحابها ان يصيبها ، لم يصيبها حتى يستبرئها (١) » أى حتى يتأكد من خلوها من الحمل ، أو طهرها من الحيض .

* * *

ومجمل القول : ان الأسرة المسلمة ، التى يعترز بها الاسلام ، لا يمكن ان تقوم بامراة غير مؤمنة ، لم تنشأ فى احضان الاسلام ، ولم تتطبع بأدابه العالمة ، وكفى بقوله تعالى : « ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » قولا فصلا ، وحكما قاطعا .

وتأكيدا لهذا المعنى : اوضح النبى صلى الله عليه وسلم ان الزواج بالامة المؤمنة من اعظم القربات ، الموجبة لجزيل الثواب ، حيث قال :

« ايما رجل كانت عنده وليدة — أى امة — فعلمها فاحسن تعليمها ، وأدبها فاحسن تأديبها ، ثم اعتقها وتزوجها ، فله اجران (٢) » .

ويستنبط من هذا الحديث الشريف : ان زواج المرأة المؤدبة المعلقة — ولو كانت فى الأصل امة — أكثر بركة ، وأقرب الى التجاوب مع زوجها ، والتضامن معه ، فيما يعينه على أمر دينه ودنياه .

ولقد ضرب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم خير مثل لذلك ، حينما صارت السيدة صفية بنت حى — رضى الله عنها — فى سهمه ، بعد غزوة خيبر ، سنة سبع من الهجرة ، فأسلمت ، وحسن اسلامها ، فأعتقها النبى صلى الله عليه وسلم ، وجعل

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ٧١/٣ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب العلم : باب يعلم الرجل امته واهله .

عتقها صداقتها (١) ، واولم عليها بتمر وسويق ، وقسم لها كاحدى امهات المؤمنين (٢) .

تفصيل الفرائب فى الزواج :

ولم يقف الاسلام — فى حرصه على بناء الاسرة ، قوية الاسس ، راسخة الدعائم — عند حد بيان العوامل الاساسية المرغبة فى الزواج ، بل تعدى ذلك الى اسباب اخرى لها اثرها فى محيط الاسرة ، كما أن لها تأثيرها فى كيان المجتمع الاسلامى . والامة الاسلامية .

ومن أهم هذه الاسباب : الاغتراب فى الزواج ، بتفصيل الغريبات على القريبات ، اذا ما تساوين فى قوة الدين ، وطيب العنصر ، لانه فى هذه الحالة يتحقق بالزواج من الفرائب ، مالا يتحقق بالاقارب ، من تعارف بين الأسر ، وترباط بين الجماعات ، وتوثيق للعلاقات بين القبائل والشعوب .

ومفضلا عن ذلك : فان المشاهد ، أن التعاطف بين الزوجين الغربيين ، يكون عادة أقوى منه بين ذوى القرابة ، بما يكفل دوام العشرة ، وسعادة الأسرة ، ويثمر قوة فى النسل ، ونجابة فى الولد ، اذ المعروف لدى العرب : أن مداومة التزاوج بين ذوى الارحام ، يؤدى الى ضعف الاجسام ، وخمود الازهان ، وأن الفرائب من النساء ، اولد للنجباء ، أصحاء العقول والاجسام ، حتى أنهم يقولون : «اغتربوا .. ولا تضوا » . أى تزوجوا ببعيدات النسب منكم ، حتى لا يأتى النسل مهزولا ضاويا . وفى هذا المعنى يقول الشاعر العربى :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة

مخافة أن يضوى على سليلها

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى : ٣٧٤/٤ .

(٢) الاستيعاب : لابن عبد البر . بهامش المصدر السابق .

« لا تنكحوا القرابة القريبة ، فان الولد يخلق ضاويا .
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : « اغتربوا ..
لا تضووا » .

ولعل هذه الظاهرة — ظاهرة ضعف نسل ذوى القرابات —
من الاسباب التى اقتضتها مشيئة المولى عز وجل ، وجرت بها
سنته فى خلقه ، ليحفز الناس الى الاغتراب ، عند اختيار الزوجات ،
حرصا على توسعة دائرة التعارف بين الافراد والجماعات ، وتأكيذا
لرابطة الأخوة بين الاسر والعائلات ، وتوثيقا لعرى الوحدة بين
القبائل والشعوب ، وتحقيقا لارادة رب العالمين فى قوله الكريم :
« ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا (١) » .

وفى هذا اوضح بيان ، ان الغاية القصوى .. من التزاوج
بين الذكر والانثى ، هى التعارف بين الشعوب والقبائل .. واهدار
الفوارق المادية بينهم ، فى الجنس أو اللغة أو اللون .. غلا فضل
لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى .

تحرى الودود .. الولود ..

ولقد عنى الاسلام — فى توجيهاته لتكوين الاسرة — بالحث
على تحرى المرأة الودود الولود ، .. الودود التى تقبل على
زوجها فتحيطه بالمودة والرحمة ، وتحرص على طاعته ومرضاته ،
والولود التى يتوفر فيها من سلامة الصحة ، وقوة البدن ، مايكفل
حسن استعدادها للحمل والولادة ، ويطمئن الى قدرتها على القيام
برسالة الأم على اكمل وجه ، ويمكن التعرف على ذلك بالقياس
الى أمها ، فان كانت ودودة لزوجها ، موافقة له ، ولودة للأبناء
والبنات : كانت البنت — غالبا — كذلك

ولايقف هدف الاسلام من ذلك عند حد الحرص على تكاثر
النسل ، تقوية للأمة ، وارهابا للاعداء ، وانما يهدف فوق ذلك
الى توفير اسباب السعادة والاستقرار للأسرة ، بانجاب الذرية ،
التي بها تزداد الرابطة بين الزوجين قوة ، والمودة بينهما ثباتا ،

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ .

بوجود هدف مشترك يربط بين حياتهما ، ويوحد مصيرهما ، وإى هدف أعظم من التعاون فى تنشئة الأبناء ، قررة عين الأمهات والآباء ، حتى يشبوا عن الطوق ، ويشقوا طريقهم فى الحياة ؟ !

لهذا : لم يكن عجباً حينما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أصبت امرأة ذات حسب وجمال ، وانها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فلم يتردد صلى الله عليه وسلم أن قال : « لا » ... ثم أتاه الثانية فنهاد ، ثم أتاه الثالثة فقال له صلى الله عليه وسلم :

« تزوجوا الودود الولود ، فانى مكائر بكم الأمم(١) » .
وقال فى حديث آخر : « لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً ، فانى مكائر بكم الأمم(٢) » .

وفى ذلك نهى صريح عن الزواج بالمرأة العقيم ، لأنه لا يتحقق بها كثير من أهداف تكوين الأسرة ، وأمر بالولود ، التى تكثر بها الذرية ، مالم تكن الحاجة ماسة الى المرأة الكبيرة فى السن ، لرعاية الأطفال بعد وفاة أمهم ، كما فعل جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، حين توفى والده ، وترك سبع بنات ، فتزوج بمن يقوم عليهم ، ويرعى شئونهم .

تفضيل الأبكار فى تكوين الأسرة :

وبحث الاسلام - فى توجهه لتكوين الأسرة - الى تفضيل البكر على الثيب ، ولأسيما اذا كان الزوج شاباً لم يسبق له الزواج ، وليس له من الأولاد الصغار ما يحتاجون الى الخدمة والرعاية ، ففى هذه الحالة : قد تكون الثيب أنسب حالة ، لمالها من خبرة فى ادارة البيت ، وتربية الأطفال .

والاسلام فى حثه الشباب على الزواج بالأبكار ، انما يختار له ما يناسب الفطرة ، ويحمى الأسرة ، مما قد ينفص عيشها ،

(١) رواد أبو داود والنسائى والحاكم ، من حديث معقل بن يسار رضى الله عنه .

(٢) عزاء السيوطى فى الجامع الصغير الى المطبرانى والحاكم ، من حديث مياض

ابن غنم .

أو يكدر صفوها ، اذ البكر مجبولة على الانس بأول اليق لها ،
أما الثيب ، فقد لا تجد في الزوج الثاني بعض ما راق لها
في الأول ، مما قد يدفعها الى النفور منه ، أو الفتور في معاملته ،
ومن ناحية أخرى . فان في بعض الأزواج من الحساسية ، ما قد
يصور له أحيانا ان زوجته — مهما لقي منها من عناية واقبال
— كانت كذلك لغيره ، مما قد يؤثر في مودته لها ، أو شغفه بها .

ولقد أشارت السيدة عائشة — رضى الله عنها — الى مثل
هذه المعاني ، في مسامرتها لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ،
حيث قالت :

« يارسول الله : أرأيت لو نزلت واديا فيه شجرة قد اكل
منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها ، في ايها كنت ترتع بعيرك؟
قال : « في التي لم يرتع منها(١) » .

وانما قصدت السيدة عائشة — رضى الله عنها — أن تذكر
النبي ببعض فضلها . حيث انه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج
بكرًا غيرها .

ولقد أوضح سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم —
مزايا تفضيل الإبكار . عند تكوين الأسرة فقال :

« عليكم بالإبكار ، فانهن اعذب افواها ، وآنق ارحاما ،
واقل خبا ، وارضى باليسير(٢) » .

وتتضمن عذوبة الأمواه — علاوة على معناها الظاهر —
إشارة الى عفة اللسان ، وطيب الكلام ، فان ذلك طبيعى في
البكر ، لما يغلب عليها من الحياء والخفر .

وتق الأرحام : إشارة الى كمال قدرتها على الحمل ،
واستعدادها للولادة ، حيث لم يسبق لها ذلك .

وكون البكر اقل خبا — أى مكرا وخداعا — فذلك طبيعى،

(١) البخارى في صحيحه — باب نكاح الإبكار — عن عائشة رضى الله عنها .

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقى عن عويمر بن ساعدة ، والطبرانى عن جابر رضى
الله عنهم .

لما جبلت عليه من براءة القصد ، وسذاجة الفكر ، فهي — لقلة تجاربها في الحياة — مازالت على الفطرة ، لاتعرف حيلة ، ولا تحسن تدبيرا .

أما رضاها باليسير : أى من مباشرة الزوج لها ، أو من أسباب العيش من مأكّل أو ملبس أو مشرب ، وذلك أمر طبيعي في البكر ، لأن حيائها يمنعها من طلب المزيد من المباشرة ، ولأنها لم تتعودها قبل زواجها فتتعلق بها ، كما انها لحداثه سنّها أقل طمعا وشرها ، وأسرع قناعة ، فلا ترهق زوجها بما ليس في طاقته .

وما احسن ماوصف به « الحريرى » البكر ، حيث قال :
« أما البكر : فهي الدرة المخزونة ، والبيضة المكنونة ، والثمرة الباكورة ، والسلامة المذخورة ، والروضة الأنف ، والطوق الذى ثمن وشرف ، لم يدنسها لامس ، ولا استغشاه لابس ، ولا مارسها عابث ، ولا واكسها طامس ، لها الوجه الحبي ، والطرف الخفى ، والغزالة المغازلة ، والمالحة الكاملة ، والوشاح الطاهر القشيب ، والضجيع الذى يشب ولا يشيب (١) » .

وتأكيدا لكل هذه المعانى التى لها أهميتها في بناء الأسرة واستقرارها ، فان النبى صلى الله عليه وسلم ، حين أخبره جابر ابن عبد الله — رضى الله عنه — أنه تزوج بامرأة ثيب : لم يتردد أن قال له :

«هلا جارية تلاعبها وتلاعبك(١)» ؟ . وفي رواية اخرى: انه صلى الله عليه وسلم قال له : **« هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك(٣) »** . وفي حديث آخر قال : —

« مالك وتلعذارى ولعابها(٤) » ؟

وفي هذا الحديث الشريف ايضاح لما قبله ، وانفصاح عن فضيلة البكر ، فيما تدوم به العشرة ، وتألف به القلوب ، من

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للقسطانى : ١٢/٨

(٢)و(٣) متفق عليه من حديث جابر رضى الله عنه .

(٤) رواه الخمسة من حديث جابر رضى الله عنه .

المرح والمضحكة والملاعبة ، بل ان النبي صلى الله عليه وسلم ليذهب في هذا الصدد الى أبعد حد ، فيرشد أصحابه الى ما تستكمل به اللذة في الملاعبة ، وتتحقق به الألفة والمصاحبة ، فيذكر لهم ألعاب العذارى وهو الريق ، اشارة الى ما في مص لسان البكر ، وتقبيل فمها ، ورشف شفيتها ، من متعة لا تدرك الا بها ، لأنها بطبيعتها أعذب ريقا ، وأطيب فمًا .

وقد اعتذر جابر بن عبد الله — رضى الله عنه — للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ عن زواجه من الثيب بقوله :

« يا رسول الله : ان عبداً لله مات ، وترك سبع بنات او تسعا ، فجنّت بمن يقوم عليهن » (١) .

وقد اقره الرسول على ذلك — لأنه اثر صالح أخواته بعد وفاة والده — ودعا له .



وهكذا : قد تكون الثيب أكثر صلاحية في بعض الأحيان ، لا سيما بالنسبة لمن كان في مثل حالة جابر رضى الله عنه ، عنده صبية صغار ، يفتقرون الى من تتوغل فيها خبرة الأم ورعايتها .

بل قد تكون الثيب — أحيانا — أرجح كفة ، حتى بالنسبة لمن كان في سن الشباب فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار وهو في عنفوان شبابه ، أولى زوجاته السيدة خديجة رضى الله عنها ، وكانت تكبره بخمسة عشر عاماً ، فكانت له نعم الزوجة الوفية ، وكانت خير معين له في السراء والضراء ، ووفرت له كل سعادة وهناء ، ما ظل يذكره طوال حياته ، اعترافاً بفضلها ، ووفاء لذكراها .

العماد في بناء الأسرة :

وبعد : فان لكل شيء عمادا ، وعماد الأسرة المسلمة التقوى، بها قد يستغنى عن كل شيء ، وبدونها لا يغنى عنها شيء : فهي

(١) رواه الخصة : من حديث جابر رضى الله عنه .

المؤلفة للقلوب ، المهذبة للطباع ، المطهرة للنفوس .. وهى المعرفة بالحقوق ، والمذكورة بالواجبات ، وهى الميسرة للأمور ، الرادعة عن الشرور .. وهى الدافعة الى الخيرات ، الجامعة للأشتات ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم : « فاعظ بذات الدين » .

فاذا توفرت التقوى فى المرأة ، عرفت ما عليها لزوجها وابنائها ، وما عليها لنفسها وربها ، فتجملت للزوج فى غير تبذل ، وأطاعته فى غير معصية ، وحرصت على الوفاء بعهده ان غاب أو حضر ، والمحافضة على ماله فى السفر والحضر ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال :

« خير النساء التى تسره اذا نظر ، وتطيعه اذا امر ، ولا تخالفه فى نفسها ولا ماله بما يكره (١) » . وفى رواية اخرى : « خير النساء من تسرك اذا ابصرت ، وتطيعك اذا امرت ، وتحفظ غيبتك فى نفسها ومالك (٢) » .

اثر المرأة الصالحة فى عزة الاسلام :

ولقد كان للمرأة الصالحة — سواء تلك التى عاصرت الجاهلية ثم استجابت لداعى الايمان ، أم تلك التى ولدت فى الاسلام وشببت عليه — كان لهذه المرأة أثر بعيد فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى مختلف أطوارها ..

ولقد سبق أن ذكرنا ما قامت به السيدة خديجة من مؤازرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواساة له فى الشدائد بنفسها ومالها . وكيف كانت خير عون له فى تبليغ رسالة ربه ، فظلت تثبته وتشجعه ، وتقبض عليه من الحنان والمودة . ما يخفف عنه ما يلقاه من تكذيب وسخرية ، ومن ايذاء وعدوان . وكفى ببناء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها شرفا ، حيث قال : « آمنت بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستتنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقتنى منها الله الولد دون غيرها من النساء (٣) » .

(١) احمد والنسائى والحكم : من حديث ابى هريرة رضى الله عنه .

(٢) الطبرانى فى الاوسط ، من عبد الله بن سلام .

(٣) الاصابة فى تمييز الصحابة : لابن حجر : ٢٨٣/٤ .

ولقد كان للتربية الإسلامية السامية ، اعماق الأثر في نفس المرأة المسلمة ، فامتلا قلبها أمنا وإيمانا ، وشاظرت الرجال في كفاحهم لاعلاء كلمة الله ، وساهمت معهم في المعارك الضارية ، تارة تقاتل بسيفها ، وأخرى تقوم بسقى الماء ومداواة الجرحى ، وبين هذا وذاك تعرض المجاهدين على الثبات ، وتلقى الضربات بقلب ثابت ، وجأش رابط ، حتى جاء نصر الله والفتح ، واكتملت شرائع الدين القويم ، وغرض الحجاب على النساء ، ووضعت المرأة في المكان اللائق بها ، كزوجة وأم ، ورفع عنها عبء الجهاد بالسيف في سبيل الله ، وابدلها الله به جهادا لاقتال فيه : الحج والعمرة .. حتى أن أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة :

يا رسول الله : انى لا أرى في القرآن أفضل من الجهاد ، أفلا نجاهد ؟ فأجابها صلى الله عليه وسلم : « لكن أفضل الجهاد حج مبرور (١) » وفي رواية أخرى انه صلى الله عليه وسلم قال : « نعم .. جهاد لا قتال فيه .. الحج والعمرة » .

وفي خلال كل ذلك : عكفت المرأة المسلمة على تنشئة ابنائها تنشئة البطولة والشجاعة ، وغرست في أعماقهم روح التضحية والفداء ، وكونت منهم أسود الحمى الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، ولم يخشوا في الله لومة لائم ، حتى عزت بهم دعوة الحق والإيمان ، وخفقت الويتها في ربوع العالمين .

* * *

إيمان أم فارس رسول الله :

هذه هي صفية بنت عبد المطلب ، عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخت حمزة أسد الله ، وقد انتهت معركة « أحد » بمصرع أخيها ، وتمزيق أحشائه ، والتمثيل به فلما وقع نظرها عليه ، في هذه الصورة التى تنفطر لها القلوب ، لم تفقد إيمانها ، ولم يغلبها الحزن والجزع ، فاسترجعت . واستغفرت ، وصلت عليه ، وقالت لابنها — الزبير بن العوام — قل لرسول الله : ما أرضانا بما كان في سبيل الله ، لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله .

(١) صحيح البخارى : باب فضل الجهاد .

ولقد بلغ من رباطة جأشها ، أنه أثناء انشغال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمواجهة الأحزاب في غزوة الخندق ، تسلل أحد اليهود الى الأطم (١) الذى يقيم به نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تلبث السيدة صفية — رضى الله عنها — أن خرجت اليه ، فضربت بهمود في يدها فقتلته ، وقطعت رأسه (٢) .

وفي أحضان هذه الأم المؤمنة : شب الزبير بن العوام — رضى الله عنه — فورث عنها هذه الروح العالية ، حتى سمى بجدارة « فارس رسول الله » . . وحتى بلغ من بسالته وبطولته ، أن عدل به الفاروق عمر بن الخطاب ، الفا من الرجال ، حين أمده جيش المسلمين في مصر ، وكتب الى قائدهم عمرو بن العاص يقول :

((اما بعد : فاني أمدتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة ابن الصامت ، ومسلمة بن مخاض ، وأعام أن معك اثنا عشر ألفا ، ولن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة ، فاذا أتاك كتابي : فاخطب الناس ، وحضهم على قتال عدوهم ، ورغبهم في الصبر والنية . وقدم هؤلاء الأربعة في صدور الناس ، وهد الناس جميعا أن تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليعج الناس الى الله ، ويسألوه النصر على عدوهم (٣))) .

ولقد صدق الفاروق — رضى الله عنه — في فراسته، وسجل التاريخ في صفحاته أن الزبير لا يعدل ألفا فحسب ، بل يعدل أمة بأسرها ، فقد تسلل الى الحصن الذى كان يعترض طريق المسلمين ، وصعد فوق أسواره ، وألقى بنفسه بين جنود العدو ، وهو يصيح صيحة الايمان : الله أكبر . . ثم اندفع الى باب الحصن ففتحه على مصراعيه ، واندفع المسلمون فاقتحموا الحصن ، وقضوا على العدو قبل أن يفيق من ذهوله .

* * *

-
- (١) الأطم بضمتين : الحصن ، وجبعه أطم .
 (٢) الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر — ٢٤٩/٤ .
 (٣) سيرة من بن الخطاب لعلى وناجى الطنطاوى : ١٥٨ و ١٥٩ .

صبر أم سليم على وفاة ولدها :

وهذه هي « أم سليم » — زوجة أبي طلحة الأنصاري رضى الله عنهما — يمرض ابنهما « أبو عمر » وكان غلاما صبيحا يحبه أبوه حبا جما ، فتوفى الغلام ، فهايته أمه ، وغسلته وكفنته ، وسجيت عليه ثوبا ، ونحته جانبا من البيت ، ثم هيات نفسها وتزينت ، استعدادا لاستقبال زوجها ، فلما جاء : سألتها :
— كيف الغلام ؟ .

فقالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح .
وظن أبو طلحة — رضى الله عنه — أن هدوء الغلام من تماثله للشفاء ، وهو ما حرصت الزوجة المؤمنة أن تلقيه في روعه ، تفاديا من ازعاجه وتكدير صفوه ، وقد أمسى الليل ، وأبو طلحة في أمس الحاجة الى الراحة والاستقرار .. وحقا قالت أم سليم ، بأن الغلام هدأت نفسه فعلا بالموت . واستراح من متاعب الدنيا وأسقامها .

وأعدت أم سليم لزوجها العشاء ، وتصنعت له كأجمل ما كانت تتصنع له قبل ذلك ، حتى قضى ليلته كأحسن ما يكون سعادة وابتهاجا ، فلما أصبح الصباح وتهايا للخروج لصلاة الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت له :

يا أبا طلحة : أرايت أن قوما أعاروا أهل بيت عارية ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ .. قال : لا .

قالت : فان الله استرد عاريته إلينا ، فاحتسب ابنك ..

وصلى أبو طلحة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أخبره بما كان من زوجته فقال — صلى الله عليه وسلم :

« ولعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما » (١) .

(١) البخارى فى صحيحه : كتاب الجنائز — باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة : عن أنس رضى الله عنه .

وحقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد جرى الله
 تلکم السيد المؤمنة على حسن صبرها ، وجميل وفائها بحق زوجها ،
 خير الجزاء ، فولدت « عبد الله بن أبي طلحة » ورزقه الله أولادا
 حمل العلم والقرآن منهم تسعة ، هم اسحاق ، واسماعيل ،
 ويعقوب ، وعمر ، وعمر ، ومحمد ، وعبد الله ، وزيد ، وقاسم .



تدفع بأبنائها الى الاستشهاد . .

وتقدم لنا « الخنساء » رضى الله عنها . صورة كريمة
 للمرأة المؤمنة ، التى نشأت فى ظلمات الجاهلية ، حيث لا ايمان
 يهون من البلاء . ولا عقيدة تحفز الى التضحية والفداء ، ولا امل
 يعصم من اليأس فى الضراء ، فلما ظهر الاسلام ، استمدت من
 نوره وتأديت بأدابه ، فاذا بها وقد امتلأت ايمانا بالله ، وحباً
 لرسول الله ، تدفع بأبنائها جميعا الى ميادين الجهاد ، وتحثهم
 على الثبات والاستشهاد ، وتلقى خبر مصرعهم بالرضا والتسليم ،
 والصبر الجميل .

فى الجاهلية : توفى اخوها « صخر الندى » فلم تنطق صبرا
 لفراقه ، ولم تكف عن البكاء لفقده ، فملأت الأرض بمراثيها ، وادمت
 القلوب بقوافيها ، وبلغ بها اليأس الى أن قالت :

الا يا صخر لا انسأك حتى افارق مهجتي ويشق رمى
 يذكرنى طلوع الشمس صخرا وابكيه لكل غروب شمس
 ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى (١)

اما بعد الاسلام : فانها تقف بين أبنائها الأربعة — وقد تمياوا
 للخروج الى القادسية ، مجاهدين فى سبيل الله — توصيهم بالصبر
 عند اللقاء ، وتحرضهم على التضحية والفداء ، وتقول لهم :

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة : لابن حجر : ٢٨٨/٤ .

« يا بنى : انكم اساتمت طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا اله الا هو ، انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولا غبرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلمكم تفلحون .

فاذا اصبحتم فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على اعدائه مستنصرين ، فاذا رايتم الحرب قد ثمرت عن ساقها ، وجللت نارا على ارواقها ، فيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة (١) » .

ولقد استقرت هذه الوصية الصادقة ، فى أعماق الابناء الأربعة ، فأبلوا بلاء حسنا ، حتى استشهدوا الواحد بعد الآخر ، مقبلين غير مدبرين ، فلما واغاهما النعمة بخبرهم ، لم تزد على أن استرجعت واستغفرت ثم قالت :

« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته (٢) » .

وشتان بين جزع خنساء الجاهلية ، وبين ايمان خنساء الاسلام .

بطولة سيدة اهل البيت ورباطة جأشها :

ومن اروع الامثلة للمرأة الصالحة ، التى تربت فى اكرم بيئة ، واتصلت باطهر نسب ، عقيلة اهل البيت — السيدة زينب رضى الله عنها — حفيذة سيد الانبياء وكريمة رابع الخلفاء ، وشقيقة اكرم الشهداء ..

(١) الاستيعاب فى اسماء الاصحاب : لابن عبد البر ا بهامش الاصابة : ٢٩٧/٤

(٢) المصدر السابق ..

لقد أصيبت — رضى الله عنها — بما لم يصب به أحد من العالمين ، فشاهدت مصرع ستة عشر من أئمة أهل البيت ، ثم شاهدت مصرع شقيقها سيد شباب أهل الجنة رضى الله عنه ، . . ومع ما كان يضطرم في أعماقها من لهيب الأسى ، وعميق الألم ، فانها لم تعوزها الشجاعة في أشد المواطن خطرا ، وأكثر المواقف دقة وحرجا ، فظلت — رضى الله عنها — رابطة الجأش ، حاضرة الذهن ، مطمئنة القلب ، تخطب الناس بأفصح لسان وتتحدى الطغاة في ثبات وإيمان ، وتسفه بهتانهم في ثقة ويقين ، وتسوق الحجة اليهم قاطعة مانعة ، وتقيم الأدلة من الكتاب والسنة واضحة ساطعة .

هذه هى — رضى الله عنها — تدخل على ابن زياد ، وهى فى أرذل شبابها ، فيقول لها مظهر الشماتة لما وقع بها :

الحمد لله الذى فضحك وقتلكم ، وكذب احدوشتكم ! . فتجيبه — رضى الله عنها — على الفور قائلة :

بل الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وطهرنا تطهيرا ، لا كما تقول ، وانما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر .

فقال الطاغية : كيف رايت صنع الله بأهل بيتك ؟ . فأجابت العقيلة الطاهرة :

كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاجون إليه : وتخاصمون عنده (١) .

وهذه هى تساق بعد ذلك الى يزيد بن معاوية ، وتدخل عليه وهو فى أبهة الملك وسطوة السلطان ، فلا يلبث ان يتهددها بمعاملة أختها — لو شاء — معاملة السبى فترد عليه جهالته متحدية :

كلا . . والله ما جعل الله ذلك لك ، الا ان تخرج من ملتنا ، وتدين بغير ديننا ! . . فأجابها يزيد غاضبا :

اياى تستقبلين بهذا ؟ انما خرج من الدين أبوك وأخوك ! فلا تتردد — رضى الله عنها — أن تفخمه قائلة :

(١) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى : ٤٥٧/٥ .

**بدين الله ، ودين أبى ، ودين أخى وجدى ، اهتديت أنت
وابوك وجبك !**

وهكذا أرغمت العقيلة المطهرة يزيد على السكوت ، وانتصرت
— وهى المجردة من كل سلاح الا ايمانها بالله تعالى — على قوة
السلطان ، وما يحيط به من جند وأعوان ، حتى أرغمته بكلماتها
الرادعة ، وحجتها القاطعة ، على التحول من موقف الفُرور
والشماتة ، الى الاعتذار عما وقع بأهل البيت من تقتيل وعدوان ،
وجور وطفیان .

*** * ***

اسماء تحرض وحيدها على الاستشهاد :

وهذه هى أسماء بنت أبى بكر — رضى الله عنها — التى
كان لها فى هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، المواقف المشهودة ،
حتى سماها « ذات النطاقين » لأنها حين أراد الهجرة : صنعت
له سفرة (طعاما) فلما لم تجد ما تشدها به ، عمدت الى نطاقها
فشقته ، وشدت السفرة بنصفه ، وانتطقت النصف الآخر ،
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ابدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة » (١) .

فلما قاربت — رضى الله عنها — المائة من عمرها ، وقد كف
بصرها ، جاءها ابنها عبد الله بن الزبير — رضى الله عنها —
يشكو اليها خذلان الناس له ، ويطلب مشورتها ، فيما عرضه
عليه الأمويون من أمور الدنيا . . !

وأدركت الأم الباسلة حقيقة الموقف ، فلم تتردد أن تختار
لابنها ميتة الكرام الأحرار ، بدلا من حياة الذل والعسار ،
فقالت له :

**« يا بنى : ان كنت تعلم أنك على حق ، واليه تدعو ، فامض
له ، ولا تمكن من رقبتك ، يلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت
انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت : أهلكت نفسك وأهلك من قتل
معك ، وان قلت : كنت على حق فلما وهن اصحابى ضعفت ، فهذا**

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : بهامش الاصابة : ٢٣٢/٤ ، الاصابة لابن حجر .

ليس فعل الاحرار ، ولا اهل الدين ، الى كم خلوك في الدنيا ؟ القتل احسن ما يقع بك ، والله لضربة بالسيف في عز . احب الى من ضربه بالسوط في ذل (١) » .

فلما اجابها بأنه يخشى ان يمثل به اهل الشام ، قالت له :
« يا بني : ان الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، فامض على بصيرتك واستعن بالله » .

واكبر البطل هذه الروح العالية من امه ، فقبل رأسها ، وقال :
« هذا والله رأيي ، والله ماركنت الى الدنيا ، ولا احببت الحياة فيها ، وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله ان تستحل حرمه ، ولكنني احببت ان أعلم رأيك ، فزدتيني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا اماه ، فاني مقتول في يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله ، فان ابنك لم يعتمد اتيان منكر ، ولا عملا بفاحشة ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يعتمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به ، بل أنكرته ، ولم يكن عندي أثر من رضا ربي عز وجل ، اللهم انى لا أقول ذلك تركية لنفسى ، انت أعلم بى ، لكن أقوله تعزية لأمى ، فتسلو عنى .

فقالت امه :

« انى لأرجو من الله ان يكون عزائى فيك حسنا ان تقدمتنى ، وان تقدمتك ففى نفسى ، اخرج حتى أنظر الى ما يصير اليه أمرك » قال :

« جزاك الله يا امه خيرا ، فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد »
فقالت :

« لا أدعه أبدا ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق . .
اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظما فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى ، اللهم انى قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فاثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين (٢) » .

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ١٨٩/٦ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢٣٠/٨

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ١٨٩/٦ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢٣٠/٨

وذهب — رضى الله عنه — فاعتسل وتطيب بمسك كثير ، استعدادا للشهادة في سبيل الحق ، ثم جاء ليودع أمه ، فلما احتضنته : وجدته لابسا درعا من حديد ، فانكرت عليه ذلك ، وقالت له :

« بابنى : ما هذا لباس من يريد ما نريد من الشهادة » ! فقال :
« يا أماه : انما أبسته لطيب خاطرك ، وأسكن قلبك »
فكانت له :

« لا .. يا بنى . أنزعه ، » .. ففعل .. واخذت الأم العظيمة توصى ولدها بأن يشمر ثيابه ، وتذكره بأبيه الزبير — غارس رسول الله صلى الله عليه وسلم — وجدته الصديق ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، وخالته عائشة أم المؤمنين ، وترجييه القدوم على هؤلاء الكرام البررة ، اذا ما غاز بالشهادة المرجوة (١) .

وانصرف عبد الله بن الزبير من لدن أمه ، وقد استمد من روحها قوة ، ومن ايمانها ايمانا وتسليما ، حيث التقى بأصحابه فصلى بهم الفجر ، ثم أخذ يحثهم على الثبات والصبر ، ويحرضهم على القتال في سبيل الله ، ثم خرج في مقدمتهم ، فقاتل وكأنه أسد ضارى ، حتى أصيب في وجهه ، وسالت دماؤه ، فتمثل بقول الشاعر :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدماء (٢) .
ثم سقط الى الأرض .. حيث فاز بالشهادة ..

وبعد : هذه قطرات من بحر زاهر ، تفيض به صفحات الدعوة الاسلامية ، في عصورها الزاهرة ، من مواقف خالدة ، للمرأة المسلمة الصالحة ، التى تربت في كنف التعاليم الاسلامية الكريمة ، ونشأت على تقاليد الاسلام الفاضلة ، وآدابه السامية ، فعرفت حقيقة رسالتها ، ولمست ما فيها من روعة وسمو ، فقدرتها حق قدرها ، وعضت عليها بالنواجذ ، وغذت بلبانها أبناءها وبناتها ، فساهمت في بناء مجد الأمة بنصيب موفور ، وخلدت بسلوكها السيرة العطرة ، والذكر المشكور .

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ١٨٩/٦ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢٢٠/٨

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ١٩٢/٦ ، البداية والنهاية لابن كثير :

اختيار الزوج

- تكريم الاسلام للفتيات
- واجب الآباء فى التحرى عن الأزواج
- اذا أتاكم من ترضون دينه فزوجوه
- درس بليغ ٠٠ من سيد المرسلين
- نظرة الاسلام الى الكفاءة فى الدين
- نظرة الاسلام الى الكفاءة فى النسب
- نظرة الاسلام الى الكفاءة فى المال
- نظرة الاسلام الى الكفاءة فى السن
- طريق الاختيار الصحيح للزوج
- جواز عرض الفتيات على أهل الصلاح
- جواز عرض المرأة نفسها على الرجل
- الصالح
- حق المرأة فى اختيار زوجها
- حق المرأة فى الاعتراض ٠٠

تكریم الاسلام للقیات :

إذا كان الاسلام الحنیف قد عني — فی بنائه للأسرة المسلمة — بالحث على اختیار الزوجة الصالحة ، فان من الطبیعی أن یكون الزوج — وهو الركن الثانى من أركان الأسرة — محل عناية الاسلام ، وتوجيهاته السامية .

ولما كانت المرأة هی الجانب الضعیف فی الأسرة ، فقد كان من الطبیعی أن یعمل الاسلام على حمايتها من العواصف ، ووقايتها من الفتن ، وأن یعنى بتوفیر الضمانات اللازمة لها ، حتى لا تكون عرضة لتجارب قاسية ، لا تستطيع تحملها ، لاسیما وقد رفع الاسلام من مكانتها ، وعرف لها قدرها ، وحباها بالكثیر من أسباب الاعزاز والتكریم .

ولعل من الأمور ذات المغزى ، التى اقتضتها الحکمة الالهية ، تکریماً للمرأة المسلمة وتعظیماً لقدرها ، أن نسل المصطفى صلى الله علیه وسلم ، كان حفظه واستمراره عن طریق الزهراء وحدها ، فلقد باریک الله فیها ، وأخرج من بینها — سیدی شباب أهل الجنة — الذرية المباركة من أهل البيت ، الذین أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً .

ولقد ضرب النبی صلى الله علیه وسلم خیر مثل ، وقدم أحسن أسوة للآباء ، فی وجوب تکریمهم للبنات ، فأحاط ابنته الزهراء ، بكل التعزیز والاکرام ، وبكل مودة وحب ، حتى كان صلى الله علیه وسلم إذا خرج فی سفر ، كان آخر عهده اتيان فاطمة ، وإذا عاد من غزو أو سفر ، بدأ بالمسجد فصلى ركعتین ، ثم أتى فاطمة ، ثم بقية أزواجه (١) .

وكانت — رضى الله عنها — إذا دخلت على النبی صلى الله علیه وسلم ، قام إليها فقبلها ، ثم أجلسها فی مجلسه ، وكذلك كانت رضى الله عنها ، إذا دخل علیها النبی صلى الله علیه وسلم ، قامت الیه فقبلته وأجلسته فی مجلسها (٢) .

(١) ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربى : للمحب الطبرى : ص ٢٧

(٢) ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربى : للمحب الطبرى : ص ٤١ .

ولقد بلغ من مكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
في بيان فضلها :

((فاطمة بضعة مني ، يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني
ما يبسطها (١) ، فمن أغضبها أغضبني (٢) ، فاطمة سيدة نساء
أهل الجنة (٣))) .

كما عني — صلى الله عليه وسلم — بأن يبين لأصحابه —
رضوان الله عليهم أجمعين — أن أكرام البنات ، والاحسان اليهن ،
من أعظم القربات إلى الله تعالى ، الموجبة لجنته ، ورضوانه ، فقال
صلى الله عليه وسلم :

((من كانت له ثلاث بنات أو أخوات ، فصبر على لاوائهن
وضرائهن وسرائهن ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن)) فقال
رجل : واثنان يا رسول الله ؟ فقال ((واثنان)) .. فقال رجل :
وواحدة ؟ فقال ((وواحدة (٤))) .

واجب الآباء .. في تحرى الأزواج :

ولا شك أن أعظم مظاهر الأكرام للفتاة — بعد حسن تربيتها
وتهذيبها — هو تحرى الزوج الصالح لها ، كما أن أخطر عوامل
التفريط في حقها — بعد أهمال تربيتها وتأديبها — هو التهاون في
اختيار الزوج المناسب لها .. ، لأن في استطاعة الرجل إذا ما أساء
الاختيار — أن يستبدل زوجة بأخرى . وليس في استطاعة الفتاة
مثل ذلك ، إلا بشق الأنفس ، وخسارتها عندئذ أشد وأخطر ، ومن
ثم فإن الاحتياط في حقها واجب وأكرم .

ومن أجل هذا : عني النبي صلى الله عليه وسلم ، بالتنبيه
إلى دقة وضع المرأة وضعفها ، وحاجتها إلى مزيد من التروى في
اختيار الزوج المناسب لها ، فقال :

(١) أحمد والحاكم من حديث المنصور بن مخزوم .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المناقب .

(٤) رواه الخرائطي .. واللفظ له — والحاكم بدون قوله « أو أخوات » من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

« النكاح رق ، فليُنظر احكم اين يضع كريمته (١) » .

ولا عجب ! فان وضع المرأة بالنسبة لزوجها — كما اوضح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم — اُشبه ما يكون بوضع العبد بالنسبة لسيده ، حيث انه لا حول لها ولا قوة ، في حين ان له القوامة عليها ، فما لم تقم هذه القوامة على الحق والتقوى : فان المرأة قد تتعرض لخسران دنياها وآخرتها ، اذا ما استسلمت لقوامة فاسدة ، ورضيت بها ، أما اذا تمردت عليها ، فقد تخسر دنياها ، وينتهي امرها الى الطلاق .

لذلك ، كان من اوجب ما يجب على الآباء والاولياء ، أن يتحروا السيد الكريم ، الذى يملكونه زمام بناتهم ، ويأتمنونه على اعراضهم ، .. السيد الذى يحسن القوامة عليهن ، ويراقب الله تعالى فى معاشرتهن ، ويضع نصب عينيه قوله تعالى :

« وعاشروهن بالمعروف : فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (٢) » . ومعنى ذلك: أن يتساوى لدى الرجل فى معاملته للمرأة — شعوره بالرضى أو الغضب ، واحساسه بالحب أو الكراهية .

جاء رجل الى الحسن بن على رضى الله عنهما ، فقال :

« خطب ابنتى جماعة .. فمن أزوجها ؟ فقال له :

« زوجها ممن يتقى الله ، فانه ان احبها اكرمها ، وان ابغضا لم يظلمها (٣) » .



ولكن بعض الآباء والاولياء فى هذا العصر — كنتيجة لاستخفافهم بتعاليم الاسلام أو جهلهم بها ، لا يعنون عند تزويج بناتهم الا بالمظاهر الزائفة ، والمادة الفانية ، ويهملون ما هو خير وأبقى ، حتى انهم ليتحرون بدقة عن مرتب الزوج واملاكه ،

(١) احياء علوم الدين للغزالى : ١٣٣/٤ — كتاب آداب النكاح ، من حديث عائشة واسماء بنتى أبى بكر ، رضى الله عنهم .

(٢) سورة النساء : آية ١٩ .

(٣) احياء علوم الدين : ١٣٣/٤ .

ولا يباليون بالتعرف على خلقه ودينه ، بل انهم ليعرضون عن صاحب الدين المتين ، والخلق القويم ، مالم يتوغر له من المال ، ما يجعله — فى نظرهم — جديرا بالتجلة والاحترام ، ومن الجاه والنفوذ ، ما يستحق لديهم التعظيم والاكرام .

لذلك : كان من الطبيعى ان تقوم اكثر هذه الزيجات على شفا جرف هار ، فلانكاد تنعقد عقدها ، حتى تنفصم عراها ، تاركة خلفها الشقاء الاليم للزوجات ، والحسرة الدائمة للآباء والامهات ، والمستقبل المظلم للأبناء والبنات .

إذا أتاكم من ترضون دينه فوزجوه :

لقد وضع الاسلام أقوم المبادئ لاختيار الزوج ، مما لو حرص الناس على العمل بها ، لوفروا على فتياتهم الكثير من العناء ، والاليم من البلاء .

يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه :

« الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات (١) » .

ففى هذه الآية الكريمة : قاعدة عامة ، جرت بها سنة الله تعالى فى خلقه ، تحقق للأسرة التوافق المطلوب لاستقرارها ، لا بالنسبة لذوى الصلاح وحدهم ، بل بالنسبة لأهل الخبث أيضاً ، لأن الأرواح — كما قال الذى لا ينطق عن الهوى — جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف (٢) .

فمن مصلحة الأسرة ، ومن مصلحة المجتمع ، أن يقتصر كل من الرجل والمرأة بمن على شاكلته ، والا ففسدت الحياة الزوجية — غالباً — نتيجة لتنافر الطباع .. ، وتضارب الميول ، فإذا ماتزوجت الفتاة الطيبة خبيثاً ضاقت بخبثه ، وقد يضيق هو بصلاحها ، وتقواها ، وبالعكس ذلك : تصفو حياة الصالحات مع الصالحين إذا ما جمعتها أسرة واحدة ، فى حين ينحصر الفساد

(١) سورة النور : آية ٢٦ .

(٢) البخارى من عائشة رضى الله عنها ، ومسلم من أبى هريرة رضى الله عنه .

في اوساط الخبيثين والخبيثات وقد ينتهى بهؤلاء الأمر الى التوبة والصلاح .

وتأكيدا لهذه المعانى : يقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

« اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنه في الأرض ، وفساد عريض (١) » .. وفي رواية اخرى : « اذا خطب اليكم » .. الحديث .

وهكذا : ركز النبي صلى الله عليه وسلم ، في توجيهه الكريم ، على الخلق والدين ، واغفل ماسواهما فحث على الرضا بهما ، وحذر من الاعراض عنهما ، لما يترتب على ذلك من فتنه في الارض وفساد كبير ، اما بقلب أوضاع الأسرة المسلمة ، وزلزلة اركانها ، اذ تعطى الفتاة الصالحة للرجل الفاسق ، لما توفر لديه من مال أو جاه ، في حين قد يضطر الصالحون من الرجال ، الى الزواج بالخبيثات من النساء ، اذا ما حيل بينهم وبين الصالحات الطيبات ، واما بتعطيل الكثير من الجنسين عن الزواج ، لتعذر العثور على الزوج المنشود .

وأى فتنة اعظم من ان تجد الفتاة نفسها بين برائن رجل فاسق ، لا يرقب فيها الا ولا ذمة ، .. ان مصير مثل هذه الفتاة — غالبا — هو أن تفقد دينها اذا حرصت على استمرار الحياة الزوجية ، أو تفقد دنياها اذا هى آثرت سلامة الدين ، ورضاء رب العالمين .



وقد يؤدي رفض الرجل الصالح الى حرمان الفتاة من الزواج ، ومن رعاية الزوج ، وهى أكبر نعمة ، وأقوى عصمة ، فحينتهى الأمر الى بقائها كريحشة في مهب الرياح ، تصارع وحدها تقلبات الزمان ، ونوائب الدهر ، بعد ان تفقد الأهل الذين كانت تلوذ بهم ، دون أن تحصل على الزوج الذى يساندها في الحياة ،

(١) الترمذى وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، والبيهقى عن أبى حاتم المزنى رضى الله عنه .

وهذا هو ما حذر منه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ،
حيث قال :

« إذا جاعكم الأكفاء فانكحوهن ، ولا تربصوا بهن
الحدثان (١) » .

اى اذا جاعكم الأكفاء فى الدين والخلق ، غزوجوا بناتكم ،
ولا تنتظروا تعرضهن للأحداث التى تجيء بها « الحدثان »
بالتحريك أو بكسر فسكون ، اى الليل والنهار .

درس بليغ .. من سيد المرسلين :

وما أروع المثل الذى ضربه سيد المرسلين صلى الله عليه
وسلم ، ليكون عبرة لأمته ، ودرسا بليغا لهؤلاء الذين يعرضون
عن تزويج بناتهم بذوى المروءة والدين ، زهدا فى فقرهم ، ورقة
حالهم ، ويبيعون فلذات اكبادهم لمن دونهم ، رغبة فى مالهم
وجاههم .

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يبالى عند
تزويجه لابنته فاطمة الزهراء — سيدة نساء أهل الجنة — بأى
عرض من اعراض الدنيا ، لقد جاءه على بن أبى طالب — رضى
الله عنه — يخطبها اليه ، وهو أفقر شباب قريش ، وقد خطبها
قبله الكثير من اشراف قريش ، فلم يجيبهم النبى صلى الله عليه
وسلم الى ذلك ، وزوجها لمن دونهم مالا وجاها ، ولكنه يرجحهم
شرفا ودينا .

ويروى لنا على — كرم الله وجهه — قصة زواجه المبارك
فيقول :

« قالت لى مولاة لى : هل علمت أن فاطمة خطبت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت لا . قالت : خطبت ، فمسا
بمنعك أن تاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يزوجك ؟ فقلت :

(١) الجامع الكبير للسيوطى : من الحاكم فى تاريخه والديلى ، من حديث بن
عمر رضى الله عنهما .

وعندى شيء أتزوج به؟! فقالت : انك ان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يزوجك .

فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جلالة وهيبة — فلما قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما أتكلم . فقال صلى الله عليه وسلم :

« ما جاء بك ؟ .. ألك حاجة » ؟ فسكت . فقال صلى الله عليه وسلم :

« لعلك جئت تخطب غاطمة » ؟ قلت نعم . قال :

« وهل عندك شيء تستحلها به » ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« ما فعلت الدرع التى سلحتكها » ؟ فقلت : عندى ، والذى نفسى بيده انها لحطمية ، مائتها اربعمئة درهم .. ! فقال صلى الله عليه وسلم :

« قد زوجتكها ، فابعث اليها بها ، فاستحلها بها » .. فان كانت لصداق غاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

فهل يعرف الباحثون لفتياتهم عن المظاهر الكاذبة ، والأعراض الزائلة ، كم تساوى الدراهم الأربعمئة ، التى كانت مهرا لسيدة نساء اهل الجنة؟! انها تعدل عشرة جنيهاً ، اقل أو اكثر ، ولكن سيد المرسلين اختار الدين لأحب الناس اليه ، وما يتصل به من ايمان وتقوى وورع ، وشجاعة ونجدة ، وغير ذلك من السجاياء التى ترجح فى الميزان ماعلى وجه الأرض من ذهب وفضة .

ويؤكد لنا سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — هذه المعانى الكريمة ، مبينا أهم مقاييس التكريم والاختيار ، فى حديثه الى الزهراء رضى الله عنها ، التى بكت حين علمت أن رسول

(١) ذخائر العقبى فى مناقب قوى القربى : للمحب الطبرى : ص ٢٧ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٤٦ .

الله صلى الله عليه وسلم قد زوجها من على ، فقال لها صلى الله عليه وسلم :

« مالك تبكين يا فاطمة ؟ فوالله لقد انكحتك اكثرهم علما ، وانفصلهم حلما ، واولهم سلما (١) » .

ولقد كان زواج على بفاطمة — رضى الله عنهما — هو ابرك زواج ، واسعد زواج في تاريخ الاسلام ، فبهذا الرباط الكريم : استمرت ذرية النبی صلى الله عليه وسلم من ابناء الزهراء — الحسن والحسين وزينب — رضى الله عنهم اجمعين .

وفي رواية أخرى ، عن أنس رضى الله عنه ، ان النبی صلى الله عليه وسلم أمر بدعوة جمع من اكابر الصحابة ، فلما حضروا خطبهم واخبرهم بأن الله تعالى أمره أن يزوج فاطمة من على ، على اربعمائة مثقال فضة فلما حضر على أخبره النبی صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : قد رضيت بذلك يا رسول الله (٢) .

ولا تعارض بين الروایتين ، فيمكن أن تكون الأولى تمهيدا لاعلان العقد بين الصحابة كما جاء في الرواية الثانية .

نظرة الاسلام الى الكفاءة في الدين :

الكفاءة بين الزوجين : من أهم الأسس التي تقوم عليها الأسرة المسلمة ، ولكن هذه الكفاءة التي يطلبها الاسلام عند اختيار الزوج ، ليست كفاءة الحسب والنسب ولا الجاه أو المال ، وانما هي كفاءة الدين ، لقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣) » . ولقوله صلى الله عليه وسلم في خطابه الجامع بمنى ، في أوسط أيام التشريق :

(١) أسد الغابة لابن الاثير : ٢٢١/٧ — طبعة الشعب .

(٢) الرياض النضرة للحب الطبرى : ٢٤١/٢ .

(٣) سورة المجرات : آية ١٣ .

((يا أيها الناس : ألا ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ،
الا لافضل لعربي على عجمي : ولا عجمي على عربي ، ولا لأسود
على احمر ، ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى (١))) .

ولقوله صلى الله عليه وسلم ايضا :

((ان الله لا ينظر الى اجسامكم ، ولا الى انسابكم ولا الى
أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن
الله عليه ، وانما انتم بنو آدم ، واحبكم الى الله اتقاكم (٢))) .

وفي هذا الصدد يقول الامام القسطلاني رحمه الله :

((الكفاءة معتبرة في النكاح ، لما روى عن جابر — رضي الله
عنه — انه صلى الله عليه وسلم قال : ((ألا لا يزوج النساء
الا الأولياء ولا يزوجن من غير الأكفاء)) .. ولان النكاح يعقد للعمر ،
ويشتمل على اغراض ومقاصد ، كالازدواج والصحية والألفة ،
وتأسيس القربات ، ولا ينتظم ذلك عادة الا بين الأكفاء ، وقد جزم
مالك — رحمه الله — بأن اعتبار الكفاءة تختص بالدين ، لقوله
عليه الصلاة والسلام : ((الناس سواء ، لا فضل لعربي على
عجمي ، انما الفضل بالتقوى (٣))) .

ويقول القرطبي في تفسيره :

((الكفاءة في النكاح معتبرة ، واختلف العلماء : هل هي في
الدين والمال والحسب ، او في بعض ذلك ؟ والصحيح : جواز
نكاح الموالى للعربيات والقرشيات ، لقوله تعالى : ((ان أكرمكم
عند الله اتقاكم)) ..

((وقد جاء موسى الى صالح مدين غريبا طريدا ، خائفا
وحيدا ، جائعا عريانا ، فانكحه ابنته لما تحقق من دينه ، ورأى
من حاله ، وأعرض عما سوى ذلك (١))) .

والاسلام اذ يقيم الوزن الأرجح للكفاءة في الدين ، لا يحول
— اذا ما توفرت — دون ابتغاء ما دونها من كفاءات أخرى ،

(١) ، (٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : ٢٤٢/١٦ .

(٣) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ١٩/٨ .

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : ٢٨٧/١٣ .

معنوية كانت أم مادية ، أما إذا اغتقت الكفاءة في الدين ، فلن تعوضها
أي كفاءة أخرى ، في حين أن في الدين عوضا عن كل شيء .

ومن ثم : غانه يجوز للفقير أن يتزوج الغنية ، وللمولى أن
يتزوج الشريفة القرشية . وللرجل الكبير أن يتزوج الصغيرة الصبية
ولكن لا يجوز للفاسق و مفقود العدالة أن يتزوج الصالحة التقية ،
مهما توفرت له من مقومات الكفاءة في الحسب والنسب ، والحياء
والمال .

ومن الأدلة القاطعة على أن المعول عليه في النكاح ، هو
الكفاءة في الدين : ما رواه البخارى في صحيحه ، أن النبي صلى
الله عليه وسلم مر عليه رجل فقال : « ما تقولون في هذا » ؟
قالوا : حرى أن خطب أن ينكح ، وأن شفيع أن يشفع ، وأن قال
أن يستمع . . ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين ، فقال صلى
الله عليه وسلم : « ما تقولون في هذا » قالوا حرى أن خطب أن لا ينكح
وأن شفيع أن لا يشفع ، وأن قال أن لا يستمع ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

هذا خير من ملء الأرض مثل هذا (١) .



مواقف خالدة للسلف الصالح :

ولقد فهم السلف الصالح أن المعول في الكفاءة المنشودة على
الدين ، فاضنوا بفتياتهم على الأمراء المستهترين ، وآثروا عليهم
الفقراء المتقين ، ثقة منهم أن العاقبة للتقوى .

هذا هو سعيد بن المسيب . . رضى الله عنه . . كبير علماء
التابعين ، يخطب إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، ابنته الى
ولى عهده — الوليد بن عبد الملك — وكانت من أحسن النساء جمالا
وكمالا ، وأعلمهن بكتاب الله وسنة رسوله ، ولكن سعيد بن المسيب
لم يتردد في الاعتذار عن ذلك ، وأصر عليه — رغم ما أوقعه به

(١) البخارى : كتاب النكاح — باب الكفاءة في الدين : من حديث سهل بن سعد
الساعدي رضى الله عنه .

عبد الملك من ايداء ، حتى ضربه مائة سوط — لما عرف به الوليد من مجون واستهتار .

وعاد العالم الجليل الى المدينة ، غزاره عبد الله بن ابي وداعة احد تلامذته ، فسأله عن حاله ، وعلم منه بوفاة زوجته ، فقال له :
« هلا استحدثت امرأة » ؟ فقال :

يرحمك الله تعالى .. ومن يزوجنى ، وما املك سوى درهمين او ثلاثة ؟!

فقال له سعيد رضى الله عنه :

انا ازوجك .. ! قال : وتفعل ؟ ! .. قال : نعم .

غزوجه ابنته على درهمين او ثلاثة .. ؟!

وهكذا : أثر سعيد بن المسيب — رضى الله عنه — الفقير التقى ، الذى توغرت له الكفاءة فى الدين ، على الأمير الفنى الذى يفتقر اليها ، ولم يكتف بذلك ، بل بلغ به الاطمئنان والثقة فى دين ذلك الفقير ، ما يحدثنا عنه فيقول :

« .. فقميت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت الى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ ، وممن أستدين ؟ فصليت المغرب ، وانصرفت الى منزلى ، فأسرجت ، وكنت صائما ، فقدمت عشائي لأفطر ، وكان خبزا وزيتا ، واذا بابى يقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد .. ، ففكرت فى كل انسان اسمه سعيد ، الا سعيد ابن المسيب ، وذلك انه لم ير أربعين سنة الا بين داره والمسجد ، فخرجت اليه ، فاذا به سعيد بن المسيب ، فظننت انه قد بدا له ، فقلت يا ابا محمد : لو ارسلت الى لاتيک . فقال : لا .. انت احق أن تؤتى . قلت : فما تأمر ؟ قال :

انك كنت رجلا عزبا فتزوجت ، فكرهت ان ابيتك الليلة وحدا ، وهذه امراتك .. !!

واذا هى قائمة خلفه فى طوله ، ثم أخذ بيدها ، فدفعا فى الباب ورده .. ، فسقطت المرأة من الحياء . فاستوثقت من الباب ، ثم تقدمت الى القصعة التى فيها الخبز والزيت ، فوضعتها فى ظل السراج لكى لا تراه ، ثم صعدت السطح ، فرميت الجيران ،

فجاؤنى ، وقالوا ما شأنك ؟ قلت ، ويحكم !! زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها الليلة على غفلة ، فقالوا : اوسعيد زوجك ؟ قلت : نعم ، قالوا : وهى فى الدار ؟ قلت : نعم ، فغزلوا اليها ، وبلغ ذلك أمى فجاءت وقالت : وجهى من وجهك حرام ان مسستها قبل ان أصلحها الى ثلاثة أيام ، .. فأقمت ثلاثا ، ثم دخلت بها ، فإذا هى من أجل النساء ، واحفظ الناس لكتاب الله تعالى ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرغهم بحق الزوج .

فمكث شهرا لا يأتينى سعيد ولا آتية ، فلما كان بعد الشهر آتية وهو فى حلقتة ، فسلمت عليه ، فرد على السلام ، ولم يكلمنى حتى تفرق الناس من المجلس ، فقال : ما حال ذلك الانسان ؟ فقلت : بخير يا أبا محمد ، على ما يحب الصديق ، ويكره العدو ، فقال : ان رايك منه امر غدونك والعصا .. !!

فانصرفت الى منزلى ، فوجه الى بعشرين ألف درهم (١) .

فما أعظم اطمئنان ذلك التابعى الجليل الى مصر ابنته ، حتى انه لم يفكر فى استقصاء أحوالها ، لاطمئنانه الى انها فى كنف رجل تقى ، يخشى الله تعالى ، ويعرف حقها عليه ، ومكانتها منه .

نظرة الاسلام الى الكفاءة فى النسب

ولقد كان العرب فى الجاهلية يتفاخرون بأحسابهم وأنسابهم فجاء الاسلام معلنا أن المدار على التقوى ، لقوله تعالى : ((أن أكرمكم عند الله اتقاكم)) .

وأكد النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الجديد بقوله : ((يا أيها الناس : ان الله قد اذهب عنكم عيبة الجاهلية ، وتعاضلها بأبائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق آدم من تراب (٢))) .

(١) احياء علوم الدين للفرالى : كتاب كسر الشهوتين .
(٢) صحيح الترمذى : من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

ولقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم التطبيق العملي ، لما دعا اليه الاسلام ، وذلك حين خطب ابنة عمه — السيدة زينب بنت جحش — وهى الشريفة القرشية ، آلى زيد بن حارثة ، وكان قبل ذلك عبدا ، فلما امتنعت السيدة زينب وتعلت بنسبها ، نزل القرآن بقوله تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا (١) » .

وهكذا : تم الزواج بين الاثنين بأمر الله تبارك وتعالى ، دون مبالاة بالفارق بينهما فى النسب ، لتوفر الكفاءة فى الدين .
يقول الامام القرطبي :

« فى هذه الآية : دليل .. بل نص فى أن الكفاءة لا تعتبر فى الأحساب ، وإنما تعتبر فى الأديان (٢) » .

وزوج النبي صلى الله عليه وسلم بنت عمه — ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، القرشية الهاشمية ، من المقداد بن عمرو ، وكان يسمى المقداد بن الأسود ، لأن الاسود بن عبدالمقصود الزهرى . كان قد تنباه فى الجاهلية ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، كان المقداد احد السبعة الأول الذين اظهروا الاسلام ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا ، وما بعدها من المشاهد ، وكان — رضى الله عنه — أول من قاتل على فارس فى سبيل الله .



وحذا الصحابة — رضوان الله عليهم — حذو النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يستنكفوا من تزويج نسائهم العربيات القرشيات ، الى الصالحين من مواليتهم ، ما توفرت فيهم الكفاءة فى الدين والتقوى .

(١) سورة الاحزاب : آية : ٣٣ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : ١٨٦/١٤ .

هذا هو أبو حذيفة بن عتبة القرشى ، خال معاوية بن أبي سفيان — رضى الله عنهما — وكان ممن شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، . . لا يجد غبارًا في أن يزوج بنت أخيه (هند بنت الوليد بن عتبة) من سالم بن معقل الفارسي ، الذى كان مولى لزوجة حذيفة رضى الله عنه — ثبينة بنت بعار الانصارية — ثم اعتقته ، فوالى أبو حذيفة ، وبلغ من مكانة سالم فى الاسلام ، أنه كان يؤم المهاجرين الاولين فى مسجد قباء ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وكان أكثرهم قرآنا ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعه يقرأ القرآن ليلا قال :

« الحمد لله الذى جعل فى امتي مثلي (١) » .



وهذا هو بلال بن رباح ، وكان مولى لبنى جمح ، ثم اشتراه أبو بكر الصديق — رضى الله عنه ، واعتقه لله عز وجل ، وهو أحد السبعة الأول الذين جهروا بالاسلام ، وشهدوا بدرًا والمشاهد كلها ، ثم استقر بالشام فى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب .

ذهب بلال مع أبى رويحة رضى الله عنهما الى قبيلة خولان فقال لهم :

« قد أتيناكم خاطبين ، وكنا كافرين فهدانا الله ، وكنا مملوكين فاعتقنا الله ، وكنا فقراء فأغنانا الله ، فان تزوجونا فالحمد لله ، وان تردونا فلا حول ولا قوة الا بالله » .

فزوجوهما لما تحقق فيهما من كفاءة فى الدين .

تزكية الفاروق لبنت بائعة اللب :

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب — رضى الله عنه —

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : ٣٠/٨ للتسلاطى ، الامصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر : ٦/٢ وقد ذكر ابن حجر أن اسم الفتاة ماطية بنت الوليد ، بدلا من هند ، وان اسم زوجة حذيفة : ماطية بنت بعار ، بدلا من ثبينة ، كما . هو فى البخارى وارشاد السارى .

لا يقيم وزنا — عند اختياره لبنت بائعة اللبن ، زوجها لابنه عاصم —
للحسب أو النسب ، ولا للمال أو الجاه ، وإنما أقام الوزن كله
لما أظهرته تلكم الفتاة الطيبة ، من إيمان بالله ، ومراقبة له في
السر والعلانية ، ويثين بأنه جل وعلا لا تخفى عليه خافية ، حتى
قد بلغت — وهى الفتاة الرقيقة الحال ، الفقيرة في الجاه والمال —
في عبادتها لربها درجة الاحسان ، فهى تعبد الله كأنها تراه ، فإن
لم تكن تراه فهو يراها .

كان الفاروق — رضى الله عنه يتفقد احوال الرعية ذات ليلة،
فسمع امرأة تقول لابنة لها : قومي الى ذاك اللبن فامضيه بالماء !
فاجابت الفتاة :

يا امته : اوما علمت بما كان من عزمة امير المؤمنين ؟ قالت
المرأة :

وما كان من عزمته يابنية ؟ قالت :

انه امر مناديه فنادى : لا يشاب اللبن بالماء . فردت المرأة
قائلة :

يا بنية : قومي الى اللبن فامضيه بالماء ، فانك بموضع
لا يراك عمر ، ولا منادى عمر ! فردت الفتاة على الفور :

يا امته : ان كان عمر لا يعلم ، فانه عمر يعلم ، والله
ما كنت لأطيعه في المأ والأعصية في الخلاء ..

فلما أصبح عمر ، قال لابنه عاصم : اذهب الى مكان كذا
وكذا ، فان هناك صبية ، فان لم تكن مشغولة فتزوج بها ، لعل
الله أن يرزقك منها نسمة مباركة (١) .

وصدقت فمراة الفاروق رضى الله عنه .. فقد تزوج عاصم
بتلك البنية ، فولدت له « أم عاصم » فتزوجها عبد العزيز بن مروان،
فولدت له عمر بن العزيز الأمير العادل رضى الله عنه (٢) .

(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الاثير : ٢٤٤/١ .
(٢١١) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبرى : ١٦/٢ .

ويعد : فان كل ما تقدم قليل من كثير ، مما يفيض به تاريخ الدعوة الإسلامية في عصرها الاول ، وفيه ما يكفي للدلالة على أن الاسلام لا يعتبر النسب والحسب شرطا في تحقق الكفاءة، وأن المعول في هذا الصدد : الكفاءة في الدين .

وما احسن قول الشاعر العربي :

عليك بتقوى الله في كل حالة ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف ابالهب

نظرة الاسلام الى الكفاءة في المال :

واذا كان الاسلام قد قدم الكفاءة في الدين على الحسب والنسب ، فانه — اتساقا مع ذلك — لا يقيم وزنا للكفاءة في المال ، فقد قال تعالى في كتابه المبين :

« وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله : والله واسع عليم (١) » .

نفى هذه الآية الكريمة : حث على تزويج اهل الصلاح والتقوى ، دون مبالاة بفقرهم ، ووعد من الله تعالى بأنه سيفنيهم من فضله ، ماداموا يبتغون بالزواج امتثال أمر الله ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وغيض الأبصار عن المحارم ، وتحصين الفروج من الفاحشة .

وتأكيدا لهذا المعنى : يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة حق على الله تعالى عونهم ، المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف (٢) » .

وتعتبر الآية المذكورة : دليلا على تزويج الفقير ، ما تحققت فيه الكفاءة في الدين . . « فالمعسر كفء للموسرة ، لأن المال غاد ورائح ، ولا يفخر به أهل المروءات والبصائر (٣) » .

(١) سورة النور : آية ٣٢ . والايامى : جيع آيم ، ومن اللاتى لا أزواج لمن من النساء ، والرجال الذين لا زوجات لهم ، فيقال رجل آيم ، وأمرأة آيم .

(٢) أحمد في مسنده ، والترمذى وغيرهما . من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للقسطائى : ٢٤/٨ .

وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم خير قدوة في عدم المبالاة بكفاءة النسب بتزويجه زيد بن حارثة ، من ابنة عمه — زينب بنت جحش — القرشية الهاشمية ، فقد كان صلى الله عليه وسلم كذلك خير قدوة ، في عدم المبالاة بالكفاءة في المال ، حين زوج المرأة التي جاعته لتهدئ نفسها له ، من رجل ليس له سوى أزار واحد ، وحين زوج ابنته أزهراء ، ألى على بن أبى طالب — رضى الله عنهما — وهو أشد ما يكون فقرا . وآثره بها على غيره من أشراف قريش .

ولقد أدرك الصحابة — رضوان الله عليهم — هذه المعاني الكريمة ، فأخذوا بها ، وعضوا بالنواجذ عليها ، فكانت زيجاتهم قائمة على الدين ، متكافئة في الفضل والإيمان .

فقد روى عن ابن مسعود — رضى الله عنه — أنه كان يقول :
« التمسوا الفنى في النكاح » ، وتلا قوله تعالى : « وانكحوا
الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم .. » الآية .

وروى عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه أنه كان يقول :
« عجبى ممن لا يطلب الفنى في النكاح ، وقد قال الله تعالى :
« ان يكونوا فقراء يفهم الله من فضله .. » (١)

وروى مثل هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما .
نظرة الاسلام الى الكفاءة في السن :

واذا كان الاسلام — كما أوضحنا — قد أهدر الكفاءة في الحسب والمال ، فإنه من باب أولى لا يقيم كبير وزن لتكافؤ الزوجين في السن ، ويعتبرها مسألة تقديرية ، ولا سيما اذا ماتوفرت الكفاءة في الدين ، وتحقق التراضى بين الطرفين ، فيجوز للرجل الكبير أن يتزوج الفتاة الصغيرة ، كما يجوز للسيدة المسنة أن تتزوج الشاب الفتى .

قد يقال : ان الفارق الكبير في السن ، قد يعرض أحد الزوجين الى الترمل في وقت قريب ، ولكن الأعمار بيد الله وحده ، لا ترتبط بسن ، أو شاب ، وقد يكون صاحب الخمسين أو الستين أصح

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢٤١/١٣ .

جسما ، وأوفر نشاطا ، من صاحب العشرين أو الثلاثين ، وقد يعيش الكهل أو الكهلة سنوات طوال ، ويموت الشاب أو الشابة في مقتبل العمر ، وما أحسن قول الشاعر :

تزود من التقوى فانك لا تدري
إذا جن ليك هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وقد يقال : ان التقارب في السن بين الزوجين ، مما يساعد على تحقيق السعادة بينهما ، والحقيقة أنه لا دخل للسن في تحقيق السعادة المنشودة ، انما الذى يكتل هذه السعادة . هو التوافق في الروح بين الزوجين ، كما هو ثابت من حديث الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم ، حيث قال :

« الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تنكر منها اختلف (١) » .

وغالبا ما تكون تقوى الله — اذا ماتوفرت في الزوجين — هي اقوى عوامل اللفة والمحبة بينهما ، وأدوم أسباب السعادة والاستقرار في الأسرة ، كيف لا ؟ والله تعالى يقول مخاطبا نبيه الكريم :

« لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، أنه عزيز حكيم (٢) » .

وانما ألف الله تعالى بينهم — أى الأوس والخزرج بعد أن تاصلت فيهم العداوة والثرات في الجاهلية — بأن شرح صدورهم للإسلام ، فأصبحوا بنعمة الله اخوانا .

ففارق السن لا علاقة له بالسعادة الزوجية ، فكم من زوجين متقاربين في السن ، قد بدت بينهما العداوة والبغضاء ، حتى انتهى

(١) البخارى في الأدب : من عائشة رضى الله عنها ، واحد وابو داود من أبى هريرة ، والطبرانى عن ابن مسعود .
(٢) سورة الأنفال : آية ٦٣ .

الامر بينهما الى الفراق ، وذلك لتنافر ارواحهما ، وتباين طباعهما ،
وكم من زوجين يكبر أحدهما الآخر بعشرات السنين ، ومع ذلك :
فان توافقهما في الروح ، جعل من حياتهما مثلاً كريماً للحياة الزوجية
السعيدة ، رغم الفارق الكبير بينهما في السن .

ولعل خير ما نقدمه مثالا واقعيا لما تقدم: هو سيد المرسلين صلى
الله عليه وسلم — وهو في أوج شبابه ، بالسيدة خديجة — رضى
الله عنها — وكانت تكبره بخمسة عشر عاما ، وقيل بعشرين ، ومع
ذلك : فقد كانت له نعم الزوجة الودود الولود ، المخلصة لبعْلِها ،
العارفة بمقامه وقدره ، المساندة له في الشدائد ، المعينة له على
القيام بالدعوة الى ربه ، والجهاد في سبيله ... كما كان لها نعم
الزوج العطوف عليها ، الوفي لعهدا ، حتى لقد بلغ به الحزن
لوفاتها كل مبلغ ، وسمى العام الذى توفيت فيه عام الحزن .

كما تزوج صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها ، وكان
يكبرها بخمس وأربعين سنة ، ومع ذلك : فقد كانت العاطفة بينهما ،
كأقوى ما يكون تجاوبا وحرارة ورغم فارق السن الكبير بينهما ، فقد
كانت السيدة عائشة — رضى الله عنها — لا تقتأ عن التغنى بجماله ،
والإشارة بكماله صلى الله عليه وسلم .

فهى القائلة له وقد بهرها منظره وهو يعمل ، وقد تصببت
على جبينه حبات من العرق ، كأنها الدر المنثور ، فكانت — صلى
الله عليه وسلم — نور على نور :

« لو رأتك نسوة يوسف لقطعن القلوب بدل الأيدي » !!
وهى القائلة في وصفه — صلى الله عليه وسلم :

وأجمل منك لم ترق قط عيني
وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء (١)

وفي حياة الصحابة — رضوان الله عليهم — من الأمثلة
المشابهة لما ذكرنا ، ما فاضت به صفحات التاريخ . وما يدل دلالة

(١) شرح الشمائل المحمدية : لحمد بن قاسم حسوس — ص ١٨ .

قاطعة على أن فارق السن ، لا اعتبار له مطلقا في بناء الأسرة المسلمة ،
وأن المدار على التقوى .

هذا هو أمير المؤمنين — عمر بن الخطاب — يطلب من علي
ابن أبي طالب — رضى الله عنهما — أن يزوجه وقد ناهز الستين
من عمره ، من أبنته أم كلثوم ، وهى دون العشرين ، ويقول له :

« يا أبا الحسن : انكحني ابنتك أم كلثوم ابنة فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، انه والله ما على وجه الأرض أحد يرضيك
من حسن صحبتها بما أرضيك به » . فأجابه على كرم الله وجهه :

« قد انكحتكما يا أمير المؤمنين » .

فانطلق عمر — رضى الله عنه — حتى جلس في الروضة
الشريفة ، واجتمع اليه المهاجرون والأنصار ، فقال لهم :

« زفوني » !! قالوا : بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال :

« بأم كلثوم ، فانى سمعت رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — يقول : (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى
ونسبى) وقد تقدمت لى صحبة ، فأحببت أن يكون لى معها سبب » .

وقد ولدت أم كلثوم لعمر : زيد بن عمر ، ورقية بنت عمر ،
رضى الله عنهم أجمعين (١) .

ولقد جاءت (تماضر) امرأة عبد الرحمن بن عوف ، الى عثمان
بن عفان — رضى الله عنهما — فقالت له :

هل لك فى ابنة عم لى ، بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة
الخد ، أصيلة الرأى تتزوجها ؟ قال نعم . فذكرت له السيدة نائلة
بنت الفرافصة الكلبية ، فتزوجها ، فلما دخلت عليه قال لها :

لعلك تكرهين ماترين من شيبتى ؟! فقالت : والله يا أمير
المؤمنين : انى من نسوة أحب أزواجهن اليهن الكهل . فقال :

وانى قد جزت الكهول وأنا شيخ ! . فقالت : اذهبت شبائك

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسى : كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن ،
جزء ٣ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في خير ما ذهبت فيه الأعمار .
فقال لها :

اتقومين إلنا ، أم تقوم إللك ؟ فقلت : ما قطعت إللك أرض
السادة وأرلذ أن أنثنى إللى عرض البلوت !

وقامت — رضى الله عنها — فنزعت ثيابها ، وحلت مرطها ،
ولم تزل عنده حتى آخر لحظة من حلاته ، وأنجب منها مريم وعنبسة .

ولقد بلغ من حبها له — رغم تجاوزه الثمانين من عمره — أنها
حاولت أن تقتله بنفسها ، حين حاول المجرمون قتله ، فألقت بنفسها
عليه ، ومدت يدها لتقيه من السلاح فبترت أناملها .. كما بلغ
من وفائها لعهدده ، أنها رفضت خطبة معاوية لها ، وقالت :

والله لا قعد أحد منى مقعد عثمان أبدا (١) « .. !!

ومن ثم فإن الإسلام لا يشترط حدا معينا لفارق السن بين
الزوجين ، فما دام الرجل قادرا على القيام بأعباء الزوجية ، صحيا
وماليا ، وتحقت فيه الكفاءة المنشودة فى الخلق والدين ، وارتضته
الفتاة زوجا لها ، فهو من خيرة الرجال الصالحين لبناء الأسرة ، ولو
كان الفارق بينهما عشرات السنين ، زيادة أو نقصانا .

طريق الاختيار الصحيح للزوج :

ان السبيل الأقوم إلى تحرى الزوج الصالح، هو الاتصال المباشر

والمعرفة الوثيقة ، وهذا هو مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم :
« إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ») فإن الرضا لن يتوفر
إلا بالمعاشرة والمعاملة ، وما ارتضى — صلى الله عليه وسلم —
عليا زوجا للزهراء ، إلا لما يعلمه من فضله ودينه ، وصدق جهاده
فى سبيل الله ، وكذلك الشأن بالنسبة لسعيد بن المسيب — رضى

(١) المرجع السابق .

الله عنه — فان معرفته الوثيقة بأبى وداعه ، دفعته الى تزويجه ابنته ، رغم فقره ورقة حاله .

وما أدق ما وضعه الفاروق — رضى الله عنه — ميزانا لمعرفة قيم الرجال ، فقد جاء رجل يطلب منه أن يوليه عملا ، فقال له : « اثنتى بمن يعرفك » . . وعاد الرجل ويصحبته آخر ، فسأله عمر : اتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم . قال : هل أنت جاره الذى يعرف مداخله ومخارجه ؟ قال : لا فقال عمر : هل صاحبته فى السفر ، الذى تعرف به مكارم الأخلاق ؟

فاجاب الرجل : لا ، فاستطرد عمر رضى الله عنه قائلا : هل عاملته بالدرهم والدينار الذى يعرف به ورع الرجل ؟ قال الرجل : لا ! فقال الفاروق متعجبا : لعلك رأيته قائما قاعدا يصلى بالمسجد ؟ فرد الرجل بالاجاب فقال له امير المؤمنين : اذهب فانك لا تعرفه ! ، والتفت الى الرجل الأول فقال له : اثنتى بمن يعرفك .

وفى رواية أخرى : ان رجلا قال لعمر رضى الله عنه : ان فلانا رجل صدق . قال : هل سافرت معه ؟ قال لا . قال : فكانت بينك وبينه خصومة ؟ قال لا . قال : فهل ائتمنته على شيء ؟ قال لا . قال له عمر :

فأنت الذى لا علم لك به ، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد (١) وكان رضى الله عنه يقول :

« أحبكم الينا — ما لم نركم — احسنكم اسما ، فاذا زایناكم : فاحبكم الينا احسنكم اخلاقا ، فاذا اختبرناكم : فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة (٢) » .

ومن ثم فانه لا يكفى للتحرى عن الزوج أقوال الناس عنه ، فان

(١) ميوون الأخبار : ١٥٨/٢ .

(٢) سيرة عمر بن الخطاب لملى وناجى الطنطاوى : ص ٥٨٧ .

موازينهم تختلف باختلاف أمزجتهم ، وصلابة دينهم ، وقوة ورعهم ،
فما قد يراه البعض فضيلة ، قد يراه البعض الآخر من أقبح المنكرات ،
لاسيما في هذا الزمان ، الذي أعرض فيه الكثيرون عن موازين
الاسلام المحكمة ، ومعايره الصادقة .

خطر الاعتماد على الخطابات :

واشد خطورة مما تقدم : الاعتماد في البحث عن الزوج الصالح ،
على المحترفات من الخطابات ، اللاتي لاهم لهن — في أكثر الأحيان —
الا تزويج السلعة ، حرصا على الأجر المنشود ، والثمن الموعود .
والنتيجة الحتمية لهذا التهاون الخطير ، هو الوقوع فيما حذر
منه النبي المعصوم ، من فتنة في الأرض وفساد عريض .

قد يكون للأباء أو الأولياء أن يعتمدوا على ذوى الصلاح والتقوى ،
من يوثق بدينهم وأمانتهم ، اذا ما توغرت لهم ما يلزم لصحة الاختيار
من معرفة وثيقة وصلات أكيدة ، بمن يزكونهم أزواجا لفتيات
المسلمين ، أما الاكتفاء بالمعرفة السطحية ، والشهادة العابرة ،
ففيه كل الخطورة على النساء ، وأكبر الأثم على الآباء . . . والأولياء ،
باعتبارهم الرعاة المسؤولين عن أسرعاهم الله أمرهم من بناتهم
ونسائهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من عبد يسترعيه الله رعية ، فلم يحطها بنصحه ،
الا حرم الله عليه الجنة (١) » .

جواز عرض البنات والاخوات على اهل الصلاح :

ولقد ذهب الاسلام في حرصه على تخير الأزواج الصالحين ،
الى اعتبار السعى في سبيل ذلك ، من المساعي المحمودة ، يقوم
بها الآباء بالنسبة لبناتهم ، والاخوة بالنسبة لآخواتهم ، والأولياء
عموما بالنسبة لن في ولايتهم .

(١) متفق عليه ، من حديث مقتل بن يسار رضى الله عنه .

هذا هو الفاروق — عمر بن الخطاب رضى الله عنه — لم يال جهدا فى عرض كريمته السيدة حفصة رضى الله عنها — بعد أن تأيمت بوفاة زوجها خنيس بن حذافة ، عقب جراحة أصابته فى « أحد » — على أكابر الصحابة ، الذين يثق فى دينهم وأمانتهم . وفى هذا الصدد يقول رضى الله عنه :

« أتيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة . فقال : سأنظر فى أمرى — وكانت رقية رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة عثمان ، قد توفيت بعد أن تخلف — رضى الله عنه — عن غزوة بدر بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم للعناية بها — فلبث ليالى ، ثم لقينى فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا . . . ، فلقيت أبا بكر الصديق ، فقلت : ان شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر ، فلم يرجع الى شيئا ، وكنت أوجد عليه منى على عثمان (١) . . !

فلبثت ليالى ، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكحتها اياه ، فلقينى أبو بكر ، فقال :

لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة ، فلم أرجع اليك شيئا ؟ قال عمر : قلت نعم ! ، قال أبو بكر :

فانه لم يمنعنى أن أرجع اليك فيما عرضت على ، الا ائنى كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأقضى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبيلتها (٢) » .



وفى رواية أخرى : أن عمر رضى الله عنه ، ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكا اليه امراض عثمان ، وسكوت أبى بكر ، فهون — صلى الله عليه وسلم — الأمر عليه ، وقال له ما معناه :

(١) أى كان أشد غضبا عليه منه على عثمان رضى الله عنهم أجمعين ، لقوة المودة بينه وبين أبى بكر ، ولأن عثمان أجابه أولا ثم اعتذر ، أما أبو بكر فانه لم يجبه بشئ .
(٢) صحيح البخارى — كتاب المغازى — باب عرض الانسان ابنته أو أخته على أهل الخير .

عسى الله ان يقيض لابنتك من هو خير منهما ، ويقيض لعثمان من هى خير من ابنتك » وقد كان ، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفصة ، وهو خير من عثمان وأبى بكر ، وتزوج عثمان بأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى خير من حفصة ، رضى الله عنهم أجمعين .



هكذا كان شأن الرعيل الأول من أصحاب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فى فهمهم للإسلام ، وأخذهم بأدابه ، واجتهادهم فى تحرى الصالحين لبناتهم أو أخواتهم ، وصراحتهم فى العرض ، وعدم تحرجهن فى القبول أو الرفض ، اذ كان هدف الجميع دائما القيام بحق الله تعالى ، سواء بالنسبة لبناتهم وأخواتهم ، باعتبارهن أولى الناس ببرهن واجتهادهم ، أو بالنسبة لأخواتهم فى الله : باعتبارهم أحق الناس بمصاهرتهم وإكرامهم .

ولكن غفلة كثير من الناس فى هذا ألزمان عن هذه الآداب السامية ، قلب الأوضاع فى نظرهم ، وأصبح الناس بمثل هؤلاء الكرام البررة محل غرابة واستنكار ، وظنه البعض محاولة لترويع بضاعة كاسدة ، فأحجم ذوو النفوس العالية عن عرض بناتهم وأخواتهم على أقرب الناس إليهم ، ضنا بكرامتهم أن تمتن ، وبنيتهم أن يساء بها الظن ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول :

« كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا ، والمنكر معروفا (١) ؟ » .

جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح :

ولقد بلغ من سباحة الاسلام وواقعته ، أنه — من ناحية أخرى — أجاز للمرأة ، اذا ما تيقنت من صلاح رجل ما ، وقوة دينه ، وصدق أمانته ، أن تعرض نفسها عليه ، وأن تقترح زواجها منه ، رغبة فى صلاحه ، وأطمئنانا الى تقواه ، ولا حرج عليها فى ذلك ،

(١) رواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

مادامت تقصد به وجه الله ، وترجو أمرا يحبه ويرضاه ، بل انها لتثاب على قصدها ، اجيبت الى طلبها او لم تجب ، لاسيما اذا لم يكن لها ولى ينوب عنها ، فى التعبير عما ترغب فيه ، او تسمى اليه .

فمن انس رضى الله عنه ، قال :

« جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعرض عليه نفسها — اى ليتزوجها — قالت : يا رسول الله : االك بى حاجة ؟ ! فقالت بنت انس — وكانت حاضرة : ما اقل حياءها .. واسواتاه .. واسواتاه .. !! فقال انس رضى الله عنه — اى لابنته — هى خير منك ، رغبت فى النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرضت عليه نفسها (١) » .

وتبرز لنا من ثنايا هذه الواقعة الطريفة أمور وآداب هامة ، منها :

اولا : حسن آدب المرأة ، وبراعتها فى عرضها لمسالتها ، فى أسلوب كريم يتفق مع حياتها ، اذ استغنت بالتلميح عن التصريح ، فقالت : « االك حاجة .. » بدلا من ان تقول مثلا : انى اُرجب فى الزواج بك يا رسول الله ..

ثانيا : سلامة موقف المرأة فى تصرفها ، وعدم مجافاته للشريعة الفراء ، بدليل ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعترض عليها ، ورد انس — رضى الله عنه — على ابنته مستنكرا اعتراضها ، ومؤكدا فضل هذه المرأة فى حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرضها لنفسها عليه .

ثالثا : عظم خلق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وكمال ادبه وحيائه ، حيث اكتفى بالسكوت تعبيرا عن رده . دون أن يخرج المرأة برفضه صراحة لطلبها ، او يخلجها باعلانه عدم الرغبة فيها .

(١) صحيح البخارى : كتاب النكاح — باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح .

حق المرأة في اختيار زوجها :

ولقد بلغ من حرص الاسلام على توفير كل الضمانات اللازمة لمساعدة المرأة ، واستقرار الأسرة ، أن جعل للمرأة الرأي الأخير في القبول أو الرفض ، فليس لأحد أن يكرهها على الزواج بمن يزيه لها ، لأن الحياة الزوجية لا يمكن أن تقوم على القسر والارغام ، والله تعالى يقول : « وجعل بينكم مودة ورحمة » وهيهات أن تتحقق المودة والرحمة ، مع البغض والاكراه ، ومن أجل ذلك : أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، بتعرف رأى المرأة في أمر الزواج ، قبل إبرامه ، فقال :

« أمروا النساء في أنفسهن ، فإن الشيب تعرب عن نفسها ، وإن البكر صمتها (١) » . وقال أيضا :

« أمروا النساء في بناتهن (٢) » .

والمعنى من الحديثين متقارب ، والهدف واحد ، وهو التعرف على رأى الفتاة ، سواء بعرض الأمر عليها مباشرة — كما ينص عليه الحديث الأول ، أو بعرضه عليها عن طريق والدتها ، حيث لا تجد الفتاة معها من الحرج والحياء ، ما تجده بطبيعتها مع والدها أو وليها .

ولما كانت اليتيمة أولى بالأحتياط في أمرها ، وإحقق بمراعاة جانبها ، لأن افتقادها الأب قد يكون سببا في الاستهانة بأمرها ، أو أغفال رغبتها ممن يتولون أمرها ، لذلك : أحاطها النبي صلى الله عليه وسلم ، بوصية خاصة ، تأكيداً لحقها ، وتطبيياً لخاطرها ، حيث قال : « أمروا اليتيمة في نفسها ، وإنها صماتها (٣) » .

أما كيفية مؤامرة الفتاة في أمر زواجها ، فقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم ، في أدب عال ، وحياء كريم ، يحفظ للفتاة خفرتها ، ويحول دون أى إحراج لها ، إذ كان — صلى الله عليه وسلم — إذا

(١) الطبرانى في الكبير ، والبيهقى في السنن ، من العرس بن عميرة — رجاله ثقات .

(٢) البيهقى : من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٣) الطبرانى من حديث أبى موسى رضى الله عنه . رجاله ثقات .

أراد أن يزوج فتاة من نسائه أو بناته أو نساء المؤمنين : يأتيها من وراء حجاب . فيقول لها :

« يابنية : ان غلانا قد خطبك ، فان كرهته فقولى لا ، فانه لا يستحي أحد ان يقول لا ، وان احببت فسكوتك اقرار (١) » .
وهكذا ..

وقد عزز النبي — صلى الله عليه وسلم — امره باستطلاع رأى المرأة عند الزوج : بنهى صريح عن تجاهل ذلك الرأى فقال :

« لا تنكح الأيم حتى تستامر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » .
قالوا : يا رسول الله : وكيف أذننها ؟ قال : « ان تسكت (٢) » .
وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

قلت يا رسول الله : ان البكر تستحيى . قال : « رضاهما صحتها (٣) » . وفي رواية أخرى انه صلى الله عليه وسلم قال : « .. فذلك أذننها اذا هي سكنت (٤) » .

وهكذا فعل سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — مع ابنته الزهراء ، سيدة نساء أهل الجنة رضى الله عنها .

فمن عباد بن منصور : قال : سمعت عطاء يقول : خطب على فاطمة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان عليا يذكرك » .. فسكت ، فتزوجها رضى الله عنها (٥) .

وفي رواية أخرى عن عطاء بن أبى رباح قال : لما خطب على فاطمة — رضى الله عنها — أتاها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال :

« ان عليا قد ذكرك » فسكت . فخرج فزوجها (٦) .

(١) امرأة النساء : للشيخ محمد كمال الدين الأدهمى . ص ١٦١ .

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) صحيح البخارى : باب لا ينكح الاب البكر والثيب الا برضاها .

(٤) صحيح مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٥) السبط الثمين للمحب الطبرى . ص ١٧٢ . من طبقات ابن سعد .

(٦) ذخائر العقبى للمحب الطبرى . وقال أخرجه الدولابى .

وفي عناية الاسلام بان يكون بناء الاسرة قائما على أسس وطيدة من التراضي ، أعطى الثيب — أى التى سبق لها الزواج — الحق فى تغليب رأيها على رأى وليها ، اذا ماظنت أن مصلحتها فى ذلك ، ووجهة نظر الاسلام فى منح هذا الحق للثيب دون البكر ، أنه قد توفر للولى من الخبرة بالحياة الزوجية ، مالم يتوفر للثانية ، فليس للولى الا أن ينصحها ، ولها بعد ذلك أن تختار ما تراه محققا لصالح دينها ودنياها . قال صلى الله عليه وسلم :

« الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر يستأذنها أبوها فى نفسها ، وأذنها صماتها (١) » وقال :

« الأم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، وأذنها صماتها (٢) » .

والأيم لغة : هى التى لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، مطلقة أو متوفى عنها زوجها ، والمراد فى هذا الحديث بالأيم : الثيب . لأنها جعلت مقابلة للبكر ، كما هو واضح فى الحديث الذى قبله .

وقد روى عن الامام النووى فى تفسير هذا الحديث قوله : (واعلم ان لفظة «أحق») هنا للمشاركة ، معناه أن لها فى نفسها فى النكاح حقا ، ولوليها حقا ، وحققها وأكد من حقه ، فإنه لو أراد تزويجها كفؤا وامتنعت أم تجبر : ولو أرادت أن تتزوج كفؤا فامتنع الولي أجبر ، فان أصر زوجها القاضى ، فدل على تأكيد حقها ورجحانها (٣) » .

حق المرأة فى الاعتراض :

فإذا استبد الولي بالأمر ، وأكره موليته على زواج لا تريده ، كان لها أن تردده ، ولو كان الولي أبها . . هذه هى خنفساء بنت خدام ، استشهد زوجها — أنيس بن قتادة — رضى

(١) مسلم وأبو داود والنسائى . عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم : باب استئذان الثيب فى النكاح بالنطق ، والبكر بالسكوت .

الله عنه — ببدر ، فزوجها أبوها وهي كارهة ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكية ، فقالت : ان أبى أنكحنى ، وان عم ولدى أحب الى ، فرد صلى الله عليه وسلم نكاحها (١) ، لما تبين له انها ترى مصلحتها ومصلحة ولدها ، في أن تتزوج شقيق زوجها المتوفى .

وفي رواية لابن الأثير ، عن عبد الرحمن بن يزيد : « أن ودیعة بن خدام أنكح ابنته ، فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : ان أبى أنكحنى رجلا لم يوافقنى ، فأرسل الى أبيها ، فذكر ذلك ، فقال له : أنكحتها بأبن عم لها كفو ، ورجل صدق ، فقال صلى الله عليه وسلم : « استأمرتها » ؟ قال : لا . فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك النكاح ولم يجزه (٢) .

ولا خلاف بين الأئمة الأربعة — رضى الله عنهم — في أن الرجل اذا زوج ابنته الثيب وهي كارهة ، فزواجه مردود ، وذلك بعكس البكر : فان للوالد أن يزوجه بمن يراه كفوا لها ، لانه أبعد منها نظرا ، وأوسع خبرة ، واسلم تقديرا ، فان أساء الوالد استعمال هذا الحق ، كان للامام أن يرد نكاحه ، اذا ما رفع الأمر اليه .

فمن جابر رضى الله عنه : « أن رجلا زوج ابنته وهي بكر . من غير أمرها ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم ، ففرق بينهما » .. وقد حملة البيهقى على أنه زوجها من غير كفاء ، أما اذا زوجها بكفاء ، فانه ينفذ ، ولو طلبت هي كفوا غيره ، لأنها مجبرة ، فليس لها الاختيار في الزواج ، وهو أكمل نظرا منها (٣) . »

أما غير الوالد : فليس له حق في ارغام موليته البكر على زواج لا ترغبه ، لانه دون الوالد مودة وحنانا ، .. وادراكا لمصلحة البنت ، واحساسا بشعورها ، ولأن مثل هذا الزواج لن يتحقق به — غالبا — السكون والاستقرار ، والمودة والمحبة ، مما تضمنه قوله تعالى :

(١) صحيح البخارى : كتاب النكاح : باب اذا زوج ابنته وهي كارهة ، فنكاحه مردود .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير : ٤٤٣/٥ .

(٣) ارشاد السارى بشرح صحيح البخارى ، للتسلاطى : ٥٥/٨ .

«ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» من أجل ذلك : حينما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم : ان « قدامة بن مظعون » اراد ان يزوج بنت اخيه عثمان الى عبد الله بن عمر — رضى الله عنهم اجمعين — بينهما كانت الفتاة ترغب الزواج بالمغيرة بن شعبة ، اقر النبي صلى الله عليه وسلم رغبة الفتاة ، لأنها احق بنفسها في الاختيار .

نعم عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما قال :

« توفي خالى عثمان بن مظعون ، فاوصى الى اخيه قدامة ، فزوجنى بنت اخيه ، ودخل المغيرة بن شعبة على أمها فارغبها فى المال ، ورأى الجارية مع رأى أمها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل قدامة فقال :

يا رسول الله ، بنت اخى ، ولم آل اختار لها .. فقال صلى الله عليه وسلم ، « الحقها بهواها ، فانها احق بنفسها » .. فانتزعتها منى ، وزوجها المغيرة بن شعبة (١) .

ويوجه عام : فان واجب الآباء والأولياء ، ان يراقبوا الله تعالى فى بناتهم ، وأن يجعلوا هواهم فيما يرضى الله ورسوله ، فلا يؤخروا ما قدمه الله ورسوله من الدين والتقوى ، ولا يقدموا ما اخره الله ورسوله من المال والجاه ، والحسب والنسب ، فقد يصبح الغنى فقيرا .. وصاحب الجاه ذليلا مغمورا ، أما التقى : فان ثروته فى الدين والخلق لا تنفد ، وجاهه عند الله والناس لا يزداد الا علوا ، وقد وعده الله تعالى فى الدنيا حياة طيبة ، فقال عز وجل :

« ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأنحسبه حياة طيبة (٢) » .. كما انه سبحانه وتعالى كفل له رعاية كريمة لأبنائه من بعده ، فقال :

« وكان أبوهما صالحا (٣) » ، ومن اصدق من الله قبيلا ،

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لابن الاثير الجزرى . ٢٩٥/٤ .

(٢) سورة النحل : آية : ٩٧ .

(٣) سورة الكهف : آية : ٨٢ .

عن أبي نر — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أنى لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم » .. ثم تلا : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (١) » .. فهازال يكررها ويعيدها (٢) » .

(١) سورة الطلاق : آية ٢ ، ٣ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي : ١٦٠/١٨

خطبة النساء

- مقدمات الخطبة
- آداب الرؤية قبل الخطبة
- المقدار المرخص برؤيته في الخطبة
- الآثار المترتبة على قبول الخطبة
- مواطن الكراهية والتحريم في الخطبة
- تحريم خطبة الرجل على خطبة أخيه
- تحريم خطبة المطلقة طلاقاً رجعيّاً
- تحريم خطبة المعتدة
- حكمة الاسلام من فرض العدة
- جواز التعريض بخطبة المعتدة
- كراهية خطبة المرأة على قرابتها
- خطاب الخطبة

مقدمات الخطبة :

الخطبة : هى الخطوة السابقة لعقد الزواج . وهو ما يصدر عن الخاطب من فعل أو قول يعبر به عن قصده ، لذلك : ينبغى على الخاطب قبل الاقدام على هذه الخطوة ان يكون مطمئنا كل الاطمئنان الى سلامة اختياره ، وصدق نيته ، حتى لا يبقى هناك أى احتمال لتراجعهم بعد الخطبة عن عزمه ، لان فى ذلك اضرارا بالمرأة . وايداء لشعورها . وخذشا لكرامتها . مما لا يرضاه الدين . ويأباه الخلق الكريم .

ولما كان جمال المرأة . وحسن قوامها — فى نظر كثير من الناس — من أهم الاسباب المرغبة فيها ، فقد رخص الاسلام للخطب — قبل الاقدام على الخطبة — أن ينظر من المرأة الراغب فى تزويجها ، ما يؤكد رغبته فيها ، أو يصرفه عنها .

ويستهدف الاسلام من هذه الرخصة أموراً لها أهميتها فى بناء الأسرة ، واستقرار الحياة الزوجية ، منها .

أولاً : الاطمئنان الى خلو المرأة من العيوب التى قد تنفر الرجل منها ، وتبغضه فيها . فقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بأنه خطب امرأة من الأنصار فلم يتردد — صلى الله عليه وسلم — أن قال له : « انظرت اليها » ؟ قال : لا . قال صلى الله عليه وسلم : « .. فاذهب فانظر اليها ، فان فى عين الأنصار شيئاً (١) » أى أن فيها صفراً وزرقاً .

وهكذا أدى النبى صلى الله عليه وسلم واجب النصيحة ونبه الرجل الى عيب فى نساء الأنصار قد لا يرتضيه ، ودعاه الى التأكد بنفسه ، ليكون اقدامه أو اعراضه على أساس من الواقع ، وقبل التورط فى الخطبة والعقد .

ثانياً : تأكيد الرغبة فى الاقدام على الخطبة ، وقطع أى تردد يعتل فى نفسه ، ويستنبط هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم :

(١) مسلم والنسائى ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

« اذا خطب احدكم المرأة - اى عزم على خطبتها - فان استطاع ان ينظر الى مايدعوه الى نكاحها فليفعل(١) » .

ثالثا : تفادى اىذاء المرأة فى شعورها ، اذا ما ادت رؤيته لها الى الزهد فيها ، والاعراض عنها ، وضمان دوام المحبة بينهما ، ان راقى فى نظرة ، وحازت اعجابه ورضاه ، فقد جاء المغيرة بن شعبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخبره بأنه خطب امرأة ، فقال له صلى الله عليه وسلم :

«انظر اليها ، فانه احرى ان يؤدم بينكما(٢)» .

ولنفس الأسباب والاهداف التى من اجلها رخص الاسلام للرجل فى رؤية خطيبته ، قبل الخطبة ، فانه كذلك يسمح للمرأة ان ترى من الرجل ، مايرغبها فيه او يصرفها عنه . ويجسن أن يكون ذلك دون معرفة منه ، تفاديا لما قد يؤدى اليه عدم الرغبة فيه من حرج واىذاء ..

آداب الرؤية قبل الخطبة :

ولكن هذه الرخصة التى ندب الاسلام اليها ، وحث عليها ، لها آداب يجب الحرص عليها ، وحدود ينبغى الوقوف عندها ، حتى لا يحول الأمر الى فوضى ، نتيجة لتساهل الآباء والأولياء فى هذه الآداب والحدود ، وجهل كثير من الناس بأمور دينهم ، الأمر الذى أتاح الفرصة للفساق والعابثين ، فاتخذوا من الرخصة ذريعة للتنقل بين البيوتات ، والتطلع الى الحرمات ، فغدت الفتيات كالسلع الرخيصة فى الاسواق ، يتناوب تقليبها الخطاب ، ويعبث بها الراغبون فى الشراء ، فى حين أن الاسلام يعتبر المرأة ذرة مكنونة ، ولا يرضى لها ذلكم التبذل الرخيص ، الذى تحطم بتكراره نفسيته ويضيع معه خفرها وحيائها ، فضلا عما تفقده من كرامة وآباء ، ويصيب نفسيته من عقد وادواء .

وفى مقدمة هذه الآداب ، التى يجب على أهل التقوى والمروءة مراعاتها ، وينبغى للآباء والأولياء الحفاظ عليها :

-
- (١) أبو داود والحاكم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .
(٢) النسائى والترمذى عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه .

أولاً : أن يكون التفكير في الرؤية ، بعد التعرف على كل ما يتصل بالمرأة ، من دين وخلق ، أو من حسب ونسب ، أو من جاه أو مال ، بحيث يكون اقداًمه على طلب الرؤية ، أو التحايل عليها ، مبنياً على رغبة أكيدة ، ونية صادقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إذالقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة ، فلا بأس أن ينظر اليها(١))) . . أى قبل الخطبة ، لا بعدها ، لأنه قد يعرض عنها بعد رؤيتها ، وفى ذلك ايذاء لها .

ثانياً : أن تتم الرؤية دون علم منها — إذا أمكن ذلك — حتى لا يكون فى الأعراض عنها أى إحراج لها ، فقد روى أن جابر بن عبد الله — رضى الله عنه — بعد أن ذكر حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، **((إذا خطب أحدكم المرأة ، فإن استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل))** . . قال :

فخطبت جارية ، فكننت أختها لها ، حتى رأيت منها ، مادعانى الى نكاحها ، فتزوجتها(٢) . .

وفى حديث آخر : يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

((إذا خطب أحدكم المرأة ، فلا جناح عليه أن ينظر اليها ، إذا كان إنما ينظر اليها لخطبتها ، وإن كانت لا تعلم))(٣) .

ثالثاً : أن لا يقدم على طلب مشاهدتها ، ولا يسعى الى ذلك ، إلا إذا ترجح لديه أجابة طلبه بعدها ، لتوفر الكفاءة اللازمة فيه بالنسبة لها ، أما إذا ترجح لديه الرفض — للفارق الكبير بينها وبينه فى الشرف أو الجاه مثلاً — فالأولى أن يصرف نفسه عنها .

وان تساوى فى تقديره احتمال الإجابة والرفض ، فإن الأكرم له أن يثبت من ذلك ، عن طريق من يثق به ، ويطمئن الى دينه واخلاصه .

(١) أخذ والحاكم والبيهقى عن محمد بن سلمة رضى الله عنه .

(٢) رواه أبو داود والشافعى والحاكم وصححه ، عن حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

(٣) رواه أبو داود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

رابعاً : أن يبعث الخاطب بسيدة من أهله ، يثق بأمانتها ودينها ، لتتأمل الفتاة التي يعتزم طلب يدها ، كي تصفها له ، إذا لم يتسیر له رؤيتها ، أو رغب عن ذلك ، أو أراد مزيداً من المعرفة بأحوالها وأوصافها .

فقد بعث سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم ، أم سليم الى امرأة ، وقال لها : «أنظري عرقوبيها ، وشمى عوارضها(١)» . والمقصود من نظر العرقوبين ، التعرف على امتلاء الجسم ، وحسن القوام .

والمطلوب من شم العوارض — وهى الاسنان التى فى عارض الفم ، ما بين الثنايا والأضراس — الاطمئنان الى طيب النكهة .

خامساً : أن لا يأذن الوالد أو الولي للخاطب بالرؤية الا بعد أن يطمئن لصلاحيته ، وحسن خلقه ، وقوة دينه ، والا بعد مشاورة ابنته أو موليته ، والحصول على موافقتها ورضاها .

سادساً : أن لا يخفى الوالد أو الولي عن الخاطب ما يعرفه من عيوب ابنته أو موليته ، بل عليه أن يصارحه بها ، أداء لحق الأخوة فى الاسلام عليه ، وحرصاً على أن تقوم العلاقة بينه وبين الخاطب على الصدق والصراحة ، وأن تشاد الأسرة الجديدة على التقوى ، فذلك ادعى الى نجاح الأمر ، واستقرار العلاقة بين الزوجين .

ولقد ضرب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، خير مثل فى هذا الصدد — وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم — حين نصح ذلك الرجل الذى خطب امرأة من الأنصار . بأن ينظر اليها ، صارحه بأن فى عين الأنصار شيئاً قد لا يعجبه .

المقدار المرخص برؤيته فى الخطبة :

وقد قيد الاسلام رخصة النظر ، بمقدار معين لا يتعداه ، حفاظاً على كرامة المرأة ، وصونها لحرمتها ، فلا يباح للخاطب

(١) ارشاد البارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى ٤٧/٨ ، وقال : رواه الحاكم وصححه .

أن يرى من خطيبته سوى الوجه والكفين ، ففى هذا القدر ما يكفى لتحقيق الغرض من الرؤية ، لأنه يستدل بالوجه على الجمال أو عكسه وبالكفين على خصوبة البدن أو سقمه .

ولا حرج على الخاطب اذا ما أتحت له فرصة الرؤية المرخص بها ، أن يطيل النظر الى المرأة التى ينوى خطبتها ، وأن يرفعها اليها ويخفضه ، متأملا منها ما يدعو به الى زواجها ، ويؤكد رغبته فيها ، أو يصرفه عنها .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال :

جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : جئت لأهب نفسي ، فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد النظر اليها وصوبه ، ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ... » (١) الحديث .

« ولا يشترط فى جواز هذا النظر رضاها أو اذنها ، بل له أن يفعل ذلك فى غفلة منها ، ومن غير تقدم اعلام لها » (لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد أذن فى ذلك مطلقا ، ولم يشترط استئذانها ، ولأنها تستحي غالبا من الأذن ، ولأن فى ذلك تفريرا ، فربما رآها فلم تعجبه فيتركها ، فتتكسر وتتأذى ، ولهذا يستحب نظره اليها قبل الخطبة » (٢) .

حكم الخاطب .. هو حكم الأجنبى :

هذا هو الأدب الإسلامى فيما يتعلق برؤية الخطيبة ، ولكن ذبوع الفساد وانتشار البلاء ، جعل النظر الى الوجه والكفين أمرا غير ذى بال ، بعد أن أسفر النساء فى الطرقات ، وكشفن عن الفاتن والمورات ، وظهرن للجميع عاريات كاسيات ، ولم تعد ثمة حاجة الى التحايل على رؤية الخطيبة ، أو التخبىء لها — كما

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدى ، ويراجع نص الحديث بالفصل الخامس (صدقات النساء) .

(٢) شرح الامام النووى على صحيح مسلم ، بهامش ارشاد السارى للقسطلاتى : ١٥٢/٦ .

فعل جابر بن عبد الله رضى الله عنه — بل ان هذه الحال دعت ببعض الغافلين من الآباء والأولياء ، الى تقديم فتياتهن للخطاب ، منشورات الشعور ، عاريات النحور والظهور ، مضمخات بالروائح والعطور ، ظنّانهم أن ذلك أقوى في التأثير ، وأدعى الى التيسير ، فخرجوا بالرخصة عن هدفها الكريم ، الى تبذل فاضح سقيم .

على أن كثرة الخبث لا تحول دون بيان وجه الحق ، ونحن في حديثنا هذا ، إنما نخاطب أهل الإيمان والتقوى ، والباحثين عن طريق الإيمان والتقوى ، ليعلموا حد الله في القدر المرخص لهم ، في كشفه من بناتهم ونسائهم ، فلا يتعدونه ، فإن من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

ان الخاطب أو الخطيب — مهما كان أمره — اجنبى بالنسبة للمرأة الراغب في الارتباط بها، ويحرم عليه أصلاً رؤية أى شئ عنها، ولما كان من أصول الشريعة الغراء، أن الضرورات تبيح المحظورات، فقد اعتبرت الرؤية عند الخطبة ، من الضرورات التى تتم بهما الزيجات المنشودة ، والمصاهرات المحمودة ، فأباحت الشريعة النظر الى الخطيبة بمقدار ، تحصل به المنفعة ، وتنتقى به الفتنة، فإذا تعدت هذه الإباحة الحدود المقدرة لها ، انقلبت الى معصية لله ، ومحادة لرسوله ، وهيهات أن يبارك الله أمراً لا يقوم على تقواه ولا يحرص فيه على طاعته ورضاه .

الآثار المترتبة على قبول الخطبة :

ان قبول الخطبة لا معنى له أكثر من اتفاق أو مواعدة بين الطرفين على اتمام عقد الزواج ، متى توفرت أسبابه ، وتيسرت ظروفه ، وتحققت شروطه .

والمفروض شرعاً ان الاتفاق ملزم للطرفين ، وأن المواعدة واجبة الوفاء ، بل انها بالنسبة لأهل التقوى كل شئ ، ولا يقلل من قيمتها افتقارها للشكل القانونى ، مثلاً فى عقد الزواج المحرر من صورتين .

ولكن الاحتياط فى هذا الزمان أوجب والزم ، فتعد تغيرت المقاييس ، وتبدلت العادات والتقاليد ، واختلط الحق بالباطل ،

والحابل بالنابل ، وترتب على ذلك الكثير من الفتن والمآسى ، وأصبح من الضروري لمن يحرص على سلامة دينه وعرضه ، أن يتقن الشبهات ، وأن يأخذ بالعزائم .

ومن ثم : فإن قبول الخطبة ، أو اعلانها والاحتفال بها ، لا يجب أن يغير من وضع الطرفين — الخطيب والخطيبة — شيئاً ، ولا يصح أن يستحل به ما حرمة الله ، أو أن يحرم به ما أحله الله ، ولا يترتب عليه للرجل أى حرمة أو سلطان ، ولا تستحق به المرأة أى نفقة أو الزام ، لأنه مازال بالنسبة لها أجنبى عنها ، وما زالت بالنسبة له أجنبى عنه ، وقد يستجد من الأمور ما يؤدى الى فسخ الخطبة دون أن يعتبر مخالفة قانونية ، أو يترتب عليه أية حقوق شرعية .

وإذا كان الأمر كذلك : فإنه لا يحل للخطيبين ان يجتمعا فى خلوة ، ولا أن يلتقيا الا لضرورة ، وبحضور محرم للمرأة ، كما يحرم عليها أن تتزين لمقابلته ، ولا أن تتعطر حين لقائه ، ولا تبدى له أكثر من القدر المأذون به شرعاً فى مثل هذه الحالة ، وهو الوجه والكفان :

أما خروجهما معا فى فترة الخطبة ، فلا شك فى حرمة ، لأنها بذلك انما تخرج بصحبة أجنبى عنها ، مما قد يترتب عليه فتنة وفساد كبير .



اعلان النكاح .. واخفاء الخطبة .

ومن أجل كل هذه الاعتبارات وغيرها : حث الاسلام الحنيف على اخفاء الخطبة ، بحيث يكون عقدها فى أضيق الحدود العائلية ، دون تعليق للرايات أو ضرب للدفوف ، أو غير ذلك من وسائل الاعلان . قال صلى الله عليه وسلم :

« اظهروا النكاح .. واخفوا الخطبة » (١) :

وفى اخفاء الخطبة : خير احتياط لصالح المرأة ، وفيسه كل

(١) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير الى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة رضى الله عنها ، ورمز له بالصحة .

الحرص على كرامتها أن تهان ، وعلى سمعتها أن تمس ، وعلى كيانها النفسى أن يصاب بأى سوء ، من جراء فسخ الخطبة بعد اعلانها ، فإن الفسخ بعد الاعلان — مهما كانت الاسباب ، فيه مساس بشعور الفتاة ، وإيلا لم لنفسيتها ، وإضرار بسمعتها ، مما قد يحمل الراغبين فيها على التردد فى الإقدام على خطبتها ، أشفاقا من أن يكون فسخ الخطبة السابقة ، لعيب فيها أو جرم منها .

أما اذا تمت الخطبة بغير اعلان — كما أمر بذلك اشرف الأنام — فانها اذا استمرت ، تم الاعلان المطلوب عند عقد النكاح ، وان فسخت : لم يصب الفتاة أى مساس بكرامتها أو ضرر بسمعتها .

الاستخارة قبل الخطبة :

غذا ما اطمأن الرجل الى كل ما يهمه معرفته من أمر الفتاة أو المرأة التى يعتزم التقدم لخطبتها ، فليتذكر أن الامر كله لله ، وأن التوفيق منه وحده ، وأنه لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، فليتجه اليه ، وليفوض الأمر له ، فهو سبحانه وتعالى أعلم بما ينفعه ، وأحرص على ما فيه خيره ، وهو القائل جل وعلا :

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (١) .

وبناء على ذلك : فانه يسن للخاطب قبل الإقدام على الخطبة ، أن يستخير الله تعالى ، فيما هو مقدم عليه ، فقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال :

« اكتم الخطبة (٢) ، ثم توضأ فاحسن وضوءك . ثم صل ما كتب الله لك ، ثم أحمد ربك ومجده ، ثم قل : اللهم انك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، فان رايت لى فى فلانة — يسميها باسمها — خيرا فى دينى ودنياى وآخرتى فاقدرها

(١) سورة البقرة : آية ٢١٦ .

(٢) أى لا تجهر بعزمك ونيتك ..

لى ، وان كا نغيرها خيرا لى منها فى دينى ودنياى وآخرتى ،
فاقدرها لى (١) . يقول الحاكم : هذه سنة عزيزة تفرد بها اهل
مصر ، ورواتها ثقات .

فياليت اهل مصر يعتصمون بهذه السنة الكريمة التى اشتهروا
بها فى ماضيهم المجيد ، ويتحررون من هذه العادات الدخيلة على
عروبتهم واسلامهم ، ليحظوا برضاء الله عنهم ، ورعايته لبيوتهم
واهلهم . .

مواطن الكراهية والتحريم فى الخطبة :

لما كان الضمان الحقيقى لكيان الأسرة ، هو أن يقوم بناؤها
على التقوى ، لذلك : اوجب الاسلام على الخاطب أن يتحرى المواطن
الصالحة لخطبته ، والمواضع التى ترضى الله ورسوله ، وتتحقق بها
اهداف الاسلام من بناء الأسرة ، من توثيق للروابط ، وتأكيد للأخوة ،
وتعارف بين الأمراد والعائلات ، وتعاطف بين القبائل والشعوب ، . .
فعليه أن ينأى بنفسه عن المواضع التى تثير القطيعة بين الناس ،
أو تورث الأحقاد فى النفوس ، أو تسبب أى أذى للأخوان ، لأنه
بذلك يكون آثما فى حق نفسه ، مفرطا فى حق غيره ، متعديا لحدود
ربه ، وهيهات أن يكون — بعد ذلك من المفلحين .

تحريم خطبة الرجل على خطبة اخيه :

من أهم المواطن التى ينبغى على الخاطب أن يتقيها ، هو خطبة
امراة سبق لغيره خطبتها ، سواء كان ذلك قبل ابرام الخطبة ، أو
بعدها ، فان فى ذلك مجافاة لحقوق الأخوة واثارة للنفوس ، واىذاء
للمشاعر .

من أجل ذلك : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل
هذه الخطبة فقال :

(١) الجامع الكبير للسيوطى . الحديث رقم : ٣٠١٨ ، ومزاه الى احمد وابن
حبان والحاكم وغيرهم ، من حديث أبى أيوب .

« .. ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، حتى يترك الخاطب قبله ، أو ياذن له الخاطب » .. وفي رواية أخرى :

« لا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن ياذن له » (١) .

وقد فصل الإمام مالك — رضى الله عنه — الأمر ، فى تفسيره لهذا الحديث ، حيث قال :

وتفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما نرى ، والله أعلم « لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه » .. أن يخطب الرجل المرأة فتركن إليه ، ويتفقان على صداق واحد معلوم ، وقد تراضيا ، فهي تشترط عليه لنفسها ، فتلك التى نهى أن يخطبها الرجل على خطبة أخيه ، ولم يعن بذلك إذا خطب الرجل المرأة فلم يوافقها أمره ، ولم تركن إليه ، أن لا يخطبها أحد ، فهذا باب فساد يدخل على الناس (٢) (٣) .

* * *

وقد استدلل بعض فقهاء المالكية ، على أن تحريم خطبة الرجل على خطبة أخيه مشروط بحصول التراضى مع الأول ، وتسمية المهر ، .. استدلوا على ذلك بما روى عن فاطمة بنت قيس قالت :

« خطبنى أبو جهم ومعاوية » .. فلم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم خطبة بعضهم على بعض ، بل خطبها لأسامة (٤) ..

وقد أخرج الإمام مسلم حديث فاطمة بنت قيس ، أكثر وضوحا وتقصيلا ، حيث جاء فيه على لسانها :

« .. نكحت ابن المغيرة ، وهو من خيار شباب قريش يومئذ ، فأصيب فى أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تأيمت : خطبنى عبد الرحمن بن عوف فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، .. وخطبنى رسول الله صلى الله عليه

(١) متفق عليه : من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٢) متفق عليه : من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) موطأ الإمام مالك — كتاب النكاح .

(٤) شرح الإمام النووى على صحيح مسلم : بهامش إرشاد السارى

للسلطاني : ١٤٠/٦

وسلم على مولاة أسامة بن زيد ، وكنت قد حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحبني فيلحب أسامة » . فلما كلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أمرى بيدك ، فانكحني من شئت فقال « انتقل الى أم شريك » — وأم شريك امرأة غنية من الأنصار ، عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان — فقلت : سأفعل . فقال : لا تفعل ، .. ان أم شريك امرأة كثيرة الضيفان ، فاني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقل الى ابن عمك عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم — وهو رجل من بني فهر ، وهو من البطن الذي هي منه — فانتقلت اليه .. « الحديث (١) » .

ويتضح من الروایتين ما يأتي :

١ — أن خطبة أبي جهم ومعاوية كانت بغير علم كل منهما بأمر الآخر ، كما أنه لم يتم مع أي منهما تراض أو اتفاق على مهر مسمى ، وكذلك الشأن في خطبة عبد الرحمن بن عوف ، فإنه لم يتم بشأنها أي تراض أو ركون .. بدليل قول غاطمة للنبي صلى الله عليه وسلم : أمرى بيدك .

٢ — أنه بناء على ذلك : لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم خطبة معاوية على خطبة أبي جهم ، كما أنه لم يجد حرجا من أن يدخل عليها — أو على عبد الرحمن بن عوف كما في الرواية الثانية — خاطبا آخر ، هو أسامة بن زيد ، الذي ارتضته غاطمة لمقامه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحببه له .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة . يدعم بعضها بعضا ، ويظهر منها عموم تحريم الخطبة على الخطبة ، فليس لأحد أن يزاحم أخاه في خطبة سبقه إليها ، حتى يصل الى نهايتها ، أما بآبرامها ، أو بصرف النظر عنها ، فإن كان في شك من ذلك : وجب استطلاع رايه ، والحصول على موافقته وأذنه .

بل ان مجرد الظن بأن أخاه في الله يفكر في خطبة امرأة ما ،

(١) صحيح الإمام مسلم : كتاب الفقه وأشراف الساعة ، باب خروج الدجال .

حتى ولو لم يبدأ بعد سعيه اليها ، هذا الظن : يلزمه — ايماننا وورعا — أن لا يسبق اخاه اليها ، حتى يترك او يستأذنه .

وفي موقف الصديق ابي بكر ، مقال كريم لهذا المعنى الدقيق ، فقد عرض عليه عمر — رضى الله عنهما — أن يزوجه ابنته «حفصة» فسكت ولم يرجع اليه شيئا فلما خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

« انه لم يمنعنى من أن أرجع اليك فيما عرضت ، الا أنى قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد ذكرها ، فلم أكن لأغشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لقبلتها » .

فتأمل : كيف أن الصديق — رضى الله عنه — اعتبر مجرد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لحفصة رضى الله عنها : : ملزما له بالأعراض عنها ، حتى ينتهى صلى الله عليه وسلم الى رأى بشأنها .

هكذا يريد الاسلام أن تقوم العلاقات بين ابنائه ، على المحبة الصادقة والاخلاص المتبادل ، وأن يكونوا فى توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحوى والسهر .

وجوب فسخ الخطبة على الخطبة :

وقد اجمع الفقهاء على تحريم الخطبة على الخطبة ، اذا كان الاول اجيب الى طلبه ، ولم يفكر فى العدول عنه (١) .

فاذا خطب الثانى على خطبة اخيه ، ولم يدخل ، وجب فسخ الخطبة ، فإن دخل بها . صح زواجه وكان آثما : واستحق عند بعض الفقهاء تاديبه على فعلته المنكرة (٢) .

(١) شرح الامام النورى على صحيح مسلم ، بهامش ارشاد السنارى للتسلاطلى ١٤٠/٦ .

(٢) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للتسلاطلى : ٥٧/٨ .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية ، قد اعتبرت الخاطب على خطبة أخيه آثماً ، فلا شك أن والد المرأة أو وليها شريك له في الأثم ، بقبوله المساومة على ابنته أو موليته ، ونقض عهده مع الأول ، كما أن المرأة لا تبرأ من المسؤولية ، إذا تم الأمر برضاها ، ولا شك أن مثل هذا السلوك المنافي للخلق الإسلامي ، لا يرتضيه أهل الدين والمروءة .

جواز خطبة الرجل على خطبة فاسق :

وقد استثنى بعض الفقهاء مما تقدم : إذا خطبت المرأة من فاسق ، فإن خطبة الثاني على خطبة الأول لا تحرم ، حتى ولو ركنت المرأة إليه ، لأن درء المفسدة المترتبة على وقوعها في عصمة الفاسق ، مقدم على المنفعة المتوقعة من زواجها به .

ولقد روى عن سيد شباب أهل الجنة — الحسين بن علي رضي الله عنهما — أنه حين علم أن يزيد بن معاوية ، تحايل على عبد الله ابن سلام ، حتى طلق امرأته زينب بنت أسحاق ، وكانت من أجمل نساء زمانها ، ثم أرسل أبا هريرة رضي الله عنه ليخطبها له ، دفعته مروءته — رضي الله عنه — فطلب من أبي هريرة أن يذكره عندها خاطباً ، ففعل ، فاستشارته في أيهما تجيب ، فقال لها أبو هريرة :

لا أختار ثم أحد علي فم قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تضعين شفتيك في موضع شفتيه ، فقالت :

لا أختار على الحسين بن علي أحداً ، وهو ريحانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيد شباب أهل الجنة .

ولم يلبث الحسين — رضي الله عنه — أن ردها إلى زوجها ، وقال :

« ما أدخلتها بيتي ، وتحت نكاحي ، رغبة في مالها أو جمالها ، ولكن أردت أحلالها لبطلها » (١) .

(١) الحسين : أبو الشهداء : لعباس العقاد : ص ٢٥ و ٢٦ .

فان صحت هذه القصة ، فان خطبة الحسين — رضى الله عنه — على خطبة يزيد ، لا اثم فيها ولا عدوان ، بل فيها الثواب الجزيل ، والاجر العظيم ، لانه قصد بها استنقاذ تلك المرأة من مكيدة دبرت لها ولزوجها ، للتفرقة بينهما ، لتكون بعد ذلك فى عصمة رجل اشتهر بالفسوق والعصيان .

تحريم خطبة الرجعية :

ومن المواطن التى يجب على الراغب فى الزواج ان يتقيها : خطبة المرأة المطلقة طلاقا رجعيا ، قبل انقضاء عدتها ، فانه لا يحل له ذلك ، سواء كان تعريضا أو تصريحاً ، لأن مثل هذه المرأة ، مازالت فى حكم الزوجة بالنسبة لمطلقها ، له ان يردها فى أى وقت ، مالم تنقض عدتها ، وهو أحق الناس بها ، بمقتضى قوله تعالى :

« وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك أرادوا أصلاحا(١) » .

يقول العلامة القرطبى رحمه الله :

« أجمع العلماء على أن الحر اذا طلق زوجته الحرة — وكان مدخولا بها — تطليقة أو تطليقتين ، أنه أحق برجعته مالم تنقض عدتها ، وان كرهت ، فان لم يراجعها المطلق حتى انقضت عدتها ، فهي أحق بنفسها ، وتصير أجنبية منه ، لا تحل له الا بخطبة ونكاح مستأنف بولى واشهاد »(٢) .

ومقصد الشريعة الغراء من تحريم خطبة الرجعية ، أن فيه اغتياتا على حق الزوج ، واضراراً به ، وتشجيعاً للمرأة على استمرار نشوزها ، وتحريضاً لها على انتهاج كل وسيلة للتخلص منه ، وفى ذلك ما فيه من عدوان على الزوج ، وهدم لكيان اسرة ، واجحاف بالأولاد .

من أجل ذلك : انعقد الإجماع على تحريم خطبة الرجعية ، الا اذا انقضت عدتها ، دون مراجعة زوجها ، فانها حينئذ تكون فى

(١) سورة البقرة : آية : ٢٢٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٢٠/٣

**حكم البائنة ، ولا حرج في التقدم لخطبتها ، لانتفاء الأذى بالنسبة
لزوجها الأول .**

وإذا كانت الشريعة السمة قد اعتبرت الخاطب على خطبة
أخيه أئما . . فكيف به خاطبا على زوجة أخيه ؟! لا شك أن ذلك من
أشد المنكرات قبحا ، وأسوأها عاقبة ، وأكثرها مجافاة للمروءة ،
وبعدا عن الخلق الإسلامى النبيل .

تحريم خطبة المعتدة :

وهى التى لم تنقض بعد عدتها بعد مفارقة زوجها ، سواء
فارقته بالطلاق ، أم فارقته بالوفاة ، فقد حرم الإسلام مصارحتها
بالرغبة فى خطبتها خلال فترة العدة ، وفى ذلك ما لا يخفى من
الحرص على كرامتها ، ومراعاة شعورها ، والاحتياط لما فيه
صالحها ، لأن المعتدة تكون غالبا فى حالة نفسية غير عادية ، إما
لتأثرها بالطلاق ، أو حزنها على الفراق ، فليس من اللائق — وهذه
حالتها — التحدث إليها فى خطبة جديدة أو زواج جديد ، لأن الوقت
والظرف غير مناسبين ، وقد يكون حكمها فى مثل هذه الحالة — سواء
كان بالاجابة أم بالرفض — بعيدا عن الصواب ، لتأثرها بحادث
الطلاق أو الوفاة .

ومن ناحية أخرى : فقد تكون المعتدة حاملا من زوجها السابق،
دون أن تعلم ذلك ، فمصارحتها بالخطبة قبل التأكد من خلوها من
الحمل ، لا طائل منه .

حكمة الإسلام من فرض العدة :

لهذا : فرض الإسلام الحنيف العدة ، ليتيح للمرأة فرصة
كافية ، تتأكد فيها من وضعها ، وتحرر من التأثيرات النفسية المتصلة
بطلاقها ، أو بوفاة زوجها ، ولتعود الى حالتها الطبيعية ، فتستطيع
أن تفكر فى أمرها ومستقبل حياتها ، تفكيرا سليما ، وتحدد على ضوء

الظروف المحيطة بها ، ما يصلح لها وما لا يصلح ، فقد يكون لها صبية صفار تؤثر التفرع لتربيتهم وتنشئتهم ، وقد ترى أنها مازالت في شرح شبابها وتخشى الفتنة على نفسها ، وقد تشعر أنها — في وحدتها وضعفها — في حاجة الى رجل يشاركها قسوة الحياة ، ويدفع عنها أخطارها .

ومن هنا : راعى الاسلام في تحديده لفترة العدة اختلاف الاسباب الداعية لها ، فجعلها للمطلقة ثلاثة قروء ، أى ثلاث حيضات بطهرها . قال تعالى :

« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (١) » .

أما الشأن في المعتدة التي بلغت سن اليأس ، فعدتها ثلاثة أشهر ، أما الحامل (٢) فعدتها لا تنتهى الا بالوضع . قال تعالى :

« واللاتى ينسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتن ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن ، وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن (٣) » .

وأما المتوفى عنها زوجها : فقد راعى الاسلام عظم المصيبة ، فأطال مدة عدتها ، بحيث تتفق مع المدة المقررة لحدادها وهى أربعة أشهر وعشرة أيام . قال تعالى :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ، والله بما تعملون خبير (٤) » .

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

-
- (١) سورة البقرة : آية ٢٢٨
(٢) أى التى توفى عنها زوجها ، أو طلقت ثلاثا ..
(٣) سورة الطلاق آية ٤
(٤) سورة البقرة آية ٢٣٤

« لا تحدد امرأة على ميت فوق ثلاث ، الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » (١) .

الا ان الحامل المطلقة ثلاثا ، او المتوفى عنها زوجها ، فان عدتها — كما خصصتها السنة الشريفة من الاحكام السابقة — ان تضع حملها ، ولها بعد ذلك ان تنهي للخطاب ، ولو لم ينقض الأجل السابق ذكره لعدة أى منهما ، ويجوز التقدم لخطبتها والتزوج بها بعد الوضع « وان كانت في دمها ، غير ان زوجها لا يقربها حتى تطهر ، وعلى هذا جمهور العلماء وأئمة الفقهاء (٢) » .

فقد روى الشيخان في صحيحهما : « ان امرأة من اسلم يقال لها « سبيعة » كانت تحت زوجها — سعد بن خولة — توفي عنها وهي حبلى ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فلما تعلت من نفاسها : تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو سنابل بن بعك ، فقال لها : ما لى أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح ؟ انك والله ما أنت بذاك حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لى ذلك : جمعت على ثيابى حين أمسيت ، فأتيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فسألته عن ذلك ، فافتاننى بانى قد حلت حين وضعت حملى ، وأمرنى بالتزوج ان بدا لى » (٣) .

جواز التعريض بخطبة المعتدة :

واذا كان الاسلام الحنيف قد حرم التصريح بالخطبة في فترة العدة ، لحكمة بينا طرفا منها ، فانه أجاز التعريض بها — وهو عكس التصريح — ومعناه : التعبير عنها بالفاظ يفهم منها القصد تلميحاً ، دون اظهاره صراحة ، قال تعالى :

« ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكنتم في أنفسكم ، علم الله انكم ستذكرونهن . ولكن لا تواعدوهن سرا ،

(١) الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي : ١٧٩/٣

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : ١٧٥/٣ .

(٣) البخارى : كتاب الطلاق — باب اولات الاحمال اجلهن ان يشعن حملهن ، ومسلم في كتاب الطلاق — باب انتضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل .

الا ان تقولوا قولاً معروفاً * ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ، واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حلیم (١) .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة — بعد ان اباحت التعريض بالخطبة — نهياً قاطعاً عن التصريح بها ، أو المواعدة سرا عليها ، كما تضمنت أشد التحذير من الوقوع فيما نهى الله تعالى عنه .

وقد أجمعت الأمة على كراهة المواعدة في العدة ، سواء للمرأة نفسها ، أو لوليها ، كما أجمعت على تحريم عقد الزواج فيها . حتى أن الامام مالك رحمه الله ، قال فيمن يواعد في العدة ، ثم يتزوج بعدها : « فراقها أحب الى ، دخل بها أم لم يدخل ، وتكون تطليقة واحدة ، فإذا حلت خطبها مع الخطاب » (٢) .

وفي قول الامام مالك — رضى الله عنه — معنى دقيق ، هو أن الطلاق — في مثل هذه الحالة — هو السبيل الوحيد لعدم الاصرار على معصية الله ، والرغبة في الرجوع اليه ، واعادة بناء الأسرة على التقوى ، لتكون جديرة برعايته ، محفوفة برحمته ، بعيدة عن غضبه ونقمته .

كيفية التعريض بالخطبة :

وخير مثال للتعريض بالخطبة : ما فعله صاحب الخلق العظيم — صلى الله عليه وسلم — حينما استأذن على أم سلمة ، وقد تأيمت من أبى سلمة — رضى الله عنهما — فقال :

« لقد علمت انى رسول الله ، وخبرته ، وموضعى فى قومى » (٣) .

(١) سورة البقرة : آية ٢٣٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله القرطبى : ١٩١/٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله القرطبى : ١٨٩/٣ .

ومثال آخر : قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت عباس ، لما طلقها أبو حفص بن المغيرة المخزومي طليقة بائنة ، غلما علم بذلك صلى الله عليه وسلم : أمرها أن تعتد في بيت ابن عمها عبد الله بن أم مكتوم — الصحابي الأعمى — رضى الله عنه ، وأرسل إليها يقول :

« لا تسبقينى بنفسك » .. وفي رواية أخرى أنه قال :

« اذا حللت فأذنينى » .. غلما حلت : خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أسامة بن زيد رضى الله عنهما (١) .

ومثال ثالث للتعريض بالخطبة : ما روته سكينه بنت حنظلة قالت : استأذن على محمد بن علي بن الحسين ، ولم تنقضى عدتي من مهلك زوجي ، فقال :

« قد عرفت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتي من علي وموضعى من العرب » فقالت :

غفر الله لك يا أبا جعفر !! انك رجل يؤخذ عنك ! اتخطبني في عدتي؟! قال :

« أما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن علي » (٢) .

وعلى نمط ما تقدم : يمكن التعريض بالخطبة بمثل الآتى :

— انى أريد أن أتزوج ، ولوددت لو أنه تيسر لى امرأة صالحة ..

— انك على لكريمة .. وانى منك لراغب .. او ان من يجد مثلك لسعيد .

فمثل هذه العبارات وما شابهها ، تدخل في نطاق القول المعروف الذى أباحه المولى عز وجل ، وفيها من حسن الأدب ، ولباقة التعبير عن القصد ، ما يتناسب مع الظرف الذى تمر به

(١) صحيح الإمام مسلم : كتاب الطلاق .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله القرطبي : ١٨٩/٣ .

المعتدة ، ويشعرها بكرامتها ، ويرفع من معنويتها ، ويتيح لها فرصة التفكير الهادىء فى مستقبلها .. وفى نفس الوقت : يحقق للقاتل ما يهدف اليه من التعريض ، دون احراج للمعتدة ، او مخالفته لله ورسوله .

واذ كان التعريض بالخطبة يمكن أن يتم عن طريق الولى . فلا شك أن الأخذ به — فى زماننا الحالى — أقرب الى التقوى ، واكرم للمرأة ، وأبعد عن الفتنة والمفسدة .

كراهية خطبة المرأة على قرابتها :

ومن المواطن التى يحسن بالخاطب أن ينأى بنفسه عنها ، هو خطبة المرأة على قرابتها ، وذلك بالجمع بين بنتى العم والعمة ، أو بنتى الخال والخالة ، فان مثل ذلك — وأن كان حلالا ، إلا أنه يؤدى غالبا الى التنافس بين ذوات القربى ، فى الحظوة لىدى الزوج ، كما قد يؤدى الى القطيعة والتباغض الذى ينتقل منهما الى بقية الأهل والأقربين ، بينما يستهدف الاسلام من الزواج : توثيق عرى الأخوة بين الناس ، بالمصاهرة بين الأسر والعائلات ، بما يقوى روابط المجتمع الاسلامى ، ويدعم بنيانه .

من أجل ذلك : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم ، أن تتكح المرأة على قرابتها مخافة القطيعة » (١) .

كما روى عن أبى بكر وعمر وعثمان — رضى الله عنهم — أنهم كانوا يكرهون الجمع بين القرابة ، مخافة الضغائن (٢) . «

على أن النهى الذى تضمنه الحديث الشريف ، لا يعنى

التحريم ، لقوله تعالى : « واحل لكم ما وراء ذلكم .. » الآية ، وقد انعقد الإجماع عليه (٣) .

(١) (٢) ، (٣) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، للعلامة القسطلانى ٢٦/٨

خطاب الخطبة :

الخطبة — بضم الخاء — مستحبة عند الشروع في الزواج ،
في أربعة مواطن :

الاول : قبل الخطبة — بكسر الخاء — حيث يتقدم الخاطب
أو من ينوب عنه الى والد المرأة أو وليها ، معرفاً نفسه ، ومعبراً عن
طلبه ورغبته .

الثاني : حين يرد والد الفتاة أو وليها على الخاطب ، معبراً
عن ترحيبه به ، ومعطناً استعداداً لاجابة طلبه .

الثالث والرابع : قبل العقد ، يلقي والد المرأة أو وليها خطبة
يعلن فيها أنه زوج ابنته فلانة الى فلان على صداق قدره كذا ..
فيرد عليه الخاطب بخطبة يعلن فيها قبوله للزواج .

ويسن أن تبدأ الخطبة بحمد الله والشهادتين ، والصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتوصية بتقوى الله تعالى .

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

« اذا أراد أحدكم أن يخطب لحاجة من نكاح أو غيره ، فليقل :
ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل
فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، صلى الله عليه
وسلم ، وعلى آله وصحبه (١) » .

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم
مسلمون .. » (٢)

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للقسطلاني : ٥٨/٨ و ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .

منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تسالون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا (١) .

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٢) » .

وكان الحسن البصري يقول قبل الخطبة — بلسان الخاطب —
بعد حمد الله والثناء عليه :

« اما بعد : فان الله قد جمع بهذا النكاح الارحام المنقطعة ،
والانساب المتفرقة ، وجعل ذلك فى سنة من دينه ، ومنهاج من امره ،
وقد خطب اليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق
كذا ، فاستخبروا الله ، وردوا خيرا يرحمكم الله (٣) » .

ومن الامثلة البليغة للخطبة الثانية فى الرد على الخاطب .
ما روى عن عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — حين خطب
اليه محمد بن الوليد أخته ، فتكلم بكلام طويل ، فرد عليه عمر
ابن عبد العزيز قائلا :

« الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الانبياء ،
اما بعد :

فان الرغبة منك دعتك الينا ، والرغبة فيك اجابتك منا ،
وقد احسن بك ظنا من اودعك كريمته ، واختارك ولم يختار عليك ،
وقد زوجتكها على كتاب الله ، امساك بمعروف ، او تسريح
باحسان (٤) » .

ورد عتيبة بن ابى سفيان على خطبة لعثمان بن عبيسة .
يطلب فيها يد ابنته ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

(١) سورة النساء : آية ١

(٢) سورة الاحزاب : الايتان : ٧٠ و ٧١ .

(٣) ، (٤) المقد الفريد : لابن عبد ربه الاندلسى : ١٥٩/٢

« أقرب قريب ، خطب أحب حبيب ، لا يستطيع له ردا ،
ولا أجد من أسعافه بدا ، قد زوجتكها ، وأنت أعز على منها ، وهي
الصق بقلبي منك ، فأكرمها .. يعذب على لسانى نكرك ، ولا تهنها
فيصغر عندى قدرك ، وقد قربتك مع قريبك ، فلا تبعد قلبي من
قلبك (١) » .

تمت بحمد الله الرسالة الثانية

وتليها

الرسالة الثالثة

آداب العقد والزفاف في الاسلام

(١) العقد الفريد : لابن عبد ربه الاندلسي : ١٥٨/٢

محتويات الكتاب

صفحة

٥

تقديم

الفصل الأول اختيار الزوجة

١٢	بين المظاهر والجواهر
١٣	تخبروا لنطفكم
١٦	الاسلام والقيم المادية
١٧	خير النساء .. نساء العرب
١٨	خير الكنوز .. المرأة الصالحة
١٩	الاسباب المرغبة في الزواج
٢٠	خطر الزواج بالأجنبيات
٢٣	حرمة الزواج بالمحاربات
٢٤	تحريم الزواج بالمشركات
٢٥٠	سيرة الصحابة رضی الله عنهم مع سبایا المشركين
٢٧	تفضيل الغرائب في الزواج
٢٨	تحري الودود الولود
٢٩	تفضيل الابكار في تكوين الأسرة المسلمة
٣٢	العماد في بناء الأسرة تقوى الله تعالى
٣٣	اثر المرأة الصالحة في عزة الاسلام
٣٤	ايمان صفية بنت عبد المطلب
٣٦	صبرام سليم على فقد ولدها
٣٧	الخنساء تدفع بأبنائها الى الاستشهاد
٣٨	بطولة السيدة زينب رضی الله عنها ورياسة جاشها
٤٠	اسماء تحرض وحيدها على الموت

الفصل الثانى

اختيار الزوج

- ٤٥ تكريم الاسلام للفتيات
- ٤٦ واجب الآباء فى تحرى الازواج
- ٤٨ اذا اتاكم من ترضون دينه فزوجوه
- ٥٠ درس بليغ من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
- ٥٢ نظرة الاسلام الى الكفاءة فى الدين
- ٥٤ مواقف خالدة للسلف الصالح
- ٥٦ نظرة الاسلام الى الكفاءة فى النسب
- ٥٨ تزكية الفاروق عمر بن الخطاب لبنت بائعة اللبن
- ٦٠ نظرة الاسلام الى الكفاءة فى المال
- ٦١ نظرة الاسلام الى الكفاءة فى السن
- ٦٥ طريق الاختيار الصحيح للزوج
- ٦٧ خطر الاعتماد على الخاطبات
- ٦٧ جواز عرض البنات والأخوات على أهل التقوى والصلاح
- ٦٩ جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح
- ٧١ حق المرأة فى اختيار زوجها
- ٧٣ حق المرأة فى الاعتراض

الفصل الثالث

خطبة النساء

- ٧٩ مقدمات الخطبة
- ٨٠ آداب الرؤية قبل الخطبة
- ٨٢ المقدار المرخص برؤيته فى الخطبة
- ٨٣ الخاطب مازال أجنبيا بالنسبة للمرأة
- ٨٤ الآثار المترتبة على قبول الخطبة

٨٥	اعلان النكاح واخفاء الخطبة
٨٦	الاستخارة قبل الخطبة
٨٧	موطن الكراهية والتحريم في الخطبة
٨٧	تحريم خطبة الرجل على خطبة اخيه
٩٠	وجوب فسخ الخطبة على الخطبة
٩١	جواز خطبة الرجل على خطبة آخر لنفسه
٩٢	تحريم خطبة المطلقة رجعيا
٩٣	تحريم خطبة المعتدة بالطلاق او بالوفاة
٩٣	حكمة الاسلام من فرض العدة
٩٥	جواز التعويض بخطبة المعتدة
٩٨	كراهية خطبة المرأة على ذوى قرابتها
٩٩	خطاب الخطبة
١٠٠	خطاب الحسن البصرى عن الخاطب
١٠٠	خطاب عمر بن عبد العزيز ردا على الخاطب
١٠٠	خطاب عتبة بن أبى سفيان ردا على الخاطب